حياة القلوب

تفسير كلام علام الغيوب

الجزء التاسع

تأليف

أبي عمرو سعيد بن مصطفى دياب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقدمة

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُهُ، ونعوذُ به مِن شُرُورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ، فَلا هَادِي لَهُ.

وأَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.[1]

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.[2]

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.[3]

وبعد فهذا هو الجزء التَّاسِعُ من تَفْسِيرِ: (حَيَاةُ الْقُلُوبِ)، أسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه، وأن يتقبله بفضله ومنه وكرمه، وأن ينفع به إنه خير مسؤول وأكرم مأمول.

سعيد بن مصطفى دياب

الأسكندرية في: ٣ رجب/ ١٤٤٣هـ

الموافق: ٤/ ٢/ ٢٠٢٢م

---

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٠٢

٢ - سورة النساء: الآية/ ١

٣ - سورة الأحزاب: الآية/ ٧٠، ٧١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾.

سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٨٨، ٨٩

لما ذكرهم شُعَيْبُ عليه السلام بنعمِ الله تعالى وحذَّرهم أسبابَ سَخَطِهِ، قَالَ أَشْرَافُ قَوْمِهِ وَأَكَابِرُهُمُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا عَنِ الْإِيمَانِ باللهِ: نُقْسِمُ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ أَنْتَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ بِلَادِنَا أَوْ لَتَرْجِعُنَّ إِلَى دِينِنَا الذي ندين به، والقسم هنا لتأكيد عزمهم على أحد الأمرين إخراجهم من بلادهم أو عودتهم إلى دين آبائهم.

وقالوا: ﴿لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾. وما قالوا: لَتَعُودُنَّ إلى مِلَّتِنَا؛ لأنَّ الْعَوْدَ ضُمِّنَ مَعْنَى الظَّرْفِيَّةِ، أرادوا منهم أن يأخذوا بكل من في دينهم، ولا يخرجوا عن شيء منه.

﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾.

أَيْ: قَالَ شُعَيْبٌ مُجِيبًا لَهُمْ: أَتَجْبُرُونَنَا عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوِ أَن نَعُودَ فِي مِلَّتِكُمْ ولَو كُنَّا كَارِهِينَ لَهَا؟ وَالِاسْتِفْهَامُ هنا لِلْإِنْكَارِ.

﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾.

أَيْ: قَالَ شُعَيْبُ معبرًا عَنِ أَتْبَاعِهِ: قَدْ أَعْظَمْنَا عَلَى اللَّهِ الفِرْيَة إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَنَا اللَّهُ مِنْهَا؛ لأنَّ ملتكم باطلةٌ، واعتقادَكُم كفرٌ بالله تعالى، ولا نكفرُ بالله تعالى.

﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾.

أَيْ: وَمَا ينبغي لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ سَبَقَ لَنَا فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّا نَعُودُ فِيهَا، فَيَنفُذُ فينا قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾.

أَيْ: أَحَاطَ رَبُّنَا بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، فلا يعزبُ عن عِلْمِهِ مثقالُ ذرةٍ في السماواتِ ولا في الأرضِ، ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾، فِي جَمِيعِ أُمُورِنَا لا نَرجُو غيرَهُ ولا نَخشَى سِوَاه.

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾.

أَيِ: رَبَّنَا افْصِلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِحُكْمِكَ الْحَقِّ الَّذِي لَا جَوْرَ فِيهِ وَلَا ظُلْمَ، وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٩٠- ٩٣

أي: وقَالَ أَشْرَافُ قَوْمِهِ وَأَكَابِرُهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا محذّرين قَوْمَهُم من الإيمانِ بشُعَيْبٍ واتّبَاعِهِ: لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا وآمنتم بدينه وتركتم دين آبائكم إِنَّكُمْ إِذًا لَمَغْبُونُونَ فِي ذَلِكَ، وهَالِكُونَ بتركِكُم دِينَ آبائِكُم، وأكدوا كلامهم بـ (إنَّ) وَاللَّامِ الموطِئَةِ لِلْقَسَمِ مُبَالَغَةً فِي التَّحذِيرِ.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾.

فأرسل اللهُ تعالى عليهم سَحَابَةً أَظَلَّتْهُمْ فأمطروا نَارًا، وَجَاءَتْهُمْ صَيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ وزلزلتِ الْأَرْضُ زلزلةً شَدِيدَةً، فَزَهَقَتِ الْأَرْوَاحُ، وَخَمَدَتِ الْأَجْسَادُ، فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ عَلَى رُكَبِهِمْ مَوْتَى مما اجتمع عليهم من أسباب الهلاك، واجتمعَ عليهم ثلاثة أصناف من العذابِ الرجفةُ، والصيحةُ، وأُرسِلَ عليهم كسفًا من السماء؛ فأتاهم ما كانوا يستعجلون من العذاب جزاءًا وفاقًا، وما ربك بظلام للعبيد.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾.

أي: الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا حين أصابهم عذاب الله تعالى وخلت منهم الديارُ كأنهم لَمْ تَسْبِقْ لَهُمْ حَيَاةٌ فِيهَا، فعوقبوا بنقيض قصدهم حيث أرادوا إخراجَ شعيبٍ ومن معه من المؤمنين فجعلهم الله تعالى أثرًا بعد عين، وعبرة للمعتبرين.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾.

أي: الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا هُمُ الَّذِينَ خسروا وهلكوا، وليس كما كان يزعم كبراؤهم حين حذروا قومهم بقولهم: ﴿لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾.

وتقديم الضمير: (هم) للتخصيص، أي: لم يخسرْ سواهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.

أي: فَتَوَلَّى عَنْهُمْ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ مَا أَصَابَهُمْ عَذَابُ اللهِ، وحلتْ عليهم النِّقْمَةُ وَقَالَ مُقَرِّعًا لَهُمْ: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي﴾ كما أمرني، واجتهدتُ في نصحي لكم، فكيف أحزنُ عليكم، وقد كفرتم بربكم، وكذبتم رَسُولَكُم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٩٤، ٩٥

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ذكر الله تبارك وتعالى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأهل مدين، وما جرى عليهم من العذاب والهلاك لما كفروا بالله تعالى وكذبوا رسله عليهم السلام، بين الله تعالى أن تلك هي سنته تعالى في كل أمة عتت عن أمر ربها ورسله، الاستئصال والهلاك العام بعد البيان والإنذار، وفي الكلام تعريض بقريش، وتحذير لهم أن يصيبهم ما أصاب الأمم قبلها؛ فإنهم كفروا كما كفر السابقون وكذبوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما كذب السابقون، فليسوت بمأمن من عذاب الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾.[1]

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾.

يبين الله تعالى سنته التي لا تتبدل في خلقه، أنه لا تكذب أمة من الأمم نبيها إلا ابتلاهم الله تعالى بالسراء والضراء، فإذا أصروا على كفرهم، واستمروا في تكذيبهم، أنزل الله تعالى بهم بأس الذي لا يرد عن القوم الكافرين.

والْبَأْسَاءُ من الْبُؤْسِ وهو الشِّدَّةُ وَشَظَفُ العيشِ وسُوءُ الْحَالِ، وَالضَّرَّاءُ: اللأواء والنصب والأسقام، ليرجعوا عن غيهم ويتضرعوا إلى ربهم ليكشف الضر عنهم، فما زادهم ذلك إلا نفورًا.

---

١ - سورة القمر: الآية/ ٤٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾.

أي: ثم بدل الله تعالى حالهم من الشدة إلى الرخاء، ومن الجدب على الخصب، ومن الأسقام إلى المعافاة في الأبدان.

﴿حَتَّى عَفَوْا﴾.

أي: حَتَّى كَثُرُوا، وزادت أعددهم، ونمت أموالهم، وَلفظ: (عَفَا) مِنَ الأَضدَادِ، يقال: عَفَا أي: كَثُرَ. وَعَفَا: دَرَسَ.

﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾، فَنَحْنُ مِثْلُهُمْ. ولم يَخطُر بِبَالِهِم أَن يَكُونَ ذلكَ الضُّرُّ عِقَابًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وأنَّ السَّرَّاءَ استدراجٌ من الله تعالى.

﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

أَيْ: فَأخَذنَاهُم بِالعُقوبةِ فَجأةً وهم غَافِلُون لِيكُونَ أعظمَ وقعًا، وأشدَّ حَسرةً.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٩٦، ٩٩

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أخبر الله تعالى أنه أخذ الذين كفروا بغتة، وعاجلهم بالعقاب في الدنيا حتى استأصل شأفتهم، أخبر تبارك وتعالى في هذه الآية أنهم لو آمنوا بربهم وأطاعوا رسله واتقوا ما نهوا عنه لفتح الله عليهم أبواب الخير، وأغدق عليهم من بركات السماء والأرض.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.

أي: لو أنَّ أهل القرى آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، واتقوا ما نهاهم الله تعالى عنه من الشرك بالله تعالى وكبائر الإثم لفتح الله تعالى عليهم أبواب الرزق وبارك لهم فيه فأنزل إليهم من السماء ماءً مباركًا، وبسطَ لهم الدنيا، ووسَّعَ عليهم في الرزق؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾.[1]

﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

أي: ولكن كذبوا الرسل، فأهلكناهم بسبب تكذيبهم، وما اقترفوا من الآثام.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

ثم حذر الله تعالى الكفار عمومًا، وأهل مكة وما حولها من القرى خصوصًا من مغبة الكفر، وتكذيب محمدٍ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى....﴾، أي: أفأمن هؤلاء المكذبون أن يأتيهم عذابنا بغتة حال غفلتهم ليلًا وهم نائمون، وهو سؤالٌ

---

١ - سورة الجن: الآية/ ١٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الغرضُ منه الإنكارُ عليهم ما هم فيه من الدعة والأمن مع الكفر والتكذيب، وهم يرون مصارع الغابرين تلوح من آثارهم، ويسمعون أخبار هلاكهم يتردد صداها في جنبات الأرض.

﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

أي: أوأمنوا أن يأتيهم عذابنا بغتة حال غفلتهم وهم ساهون لاهون أكثر ما يكونون انشغالًا باللعب وقت الضحى.

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾.

أَيْ: أَفَأَمِنُوا أن يصيبَهُم عَذَابُهُ، وتحلَّ عَلَيهم نقمته، حال غفلتهم؟

﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

أي: فَلَا يَأمَنُ مَكرَ اللَّهِ مع الإقامةِ على الكفرِ، والتكذيب إِلَّا القَومُ الخَاسِرُونَ لِغَفلَتِهِم وَجَهلِهِم بصفاتِ رَبِّهِم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٠١- ١٠٢

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا....﴾، سؤال الغرض منه التعجيب من حال هؤلاء الذين استخلفهم الله في الأرض بعد هلاك أهلها، فسلكوا سبيلهم في الكفر والضلال، يَقُولُ تعالى: أَوَلَمْ يُبَيِّنْ لهؤلاء المكذبين أَنْ لَوَ نَشَاءُ فَعَلْنَا بِهِمْ كَمَا فَعَلْنَا بِمَنْ قَبْلَهُمْ، فأَهلكنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ كما أهلكنا مَنْ سَبَقَهُم بِذُنُوبِهِمْ.

﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.

أي: ونختم على قلوبهم فلا ينتفعون بموعظة، ونفي السماع هنا المراد به نفي الانتفاع به؛ كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الْأَعْرَافِ:١٧٩]، أي: لا ينتفعون بشيء من تلك الجوارح.

﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا﴾.

أي: تِلْكَ الْقُرَى الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا وتقدَّمَ ذكْرُها، وَهُمْ: قَوْمُ نُوحٍ، وَهُودٍ، وَصَالِحٍ، وَلُوطٍ، وَشُعَيْبٍ، والإشارة إليها بـ (تِلْكَ) لحضورها في الذهن بسببِ تكرارِ ذكرها، فصارت كالمشَاهَدَةِ للسَّامِعِ.

﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا﴾، الْأَنْبَاءُ: جمعُ نبأٍ، وهو الخبرُ العظيمُ الهامُّ؛ أي: نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ أَخْبَارِهَا العجيبةِ العظيمةِ، كيف أهلكناها، لتعلم أنَّا ننصرُ رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا، وليعتبرَ بها مَنْ يخلفها في الأرض.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾.

أي: وَلَقَدْ جَاءَتْ تِلْكَ الْقُرَى الَّتِي قَصَصْتُ عَلَيْكَ نَبَّأَهَا رُسُلُهُمْ بِالْحُجَجِ القَاطعَاتِ، والبراهينِ السَّاطِعَاتِ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ شَأْنِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بَعْدَ مَجِيءِ الْبَيِّنَاتِ بِمَا كَانُوا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلِ مَجِيئِهَا؛ لأنَّ كفرهم كفر عنادٍ واستكبارٍ.

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

أي: كما ختمنا على قلوبِ الكافرينَ السابقين، نختم عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ممن جاء بعدهم، وهو تعريض بكفار قريش.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾.

أَيْ: وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِ الناسِ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ مِنْ وَفَاءٍ بِمَا وَصَّيْنَاهُمْ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَاتِّبَاعِ رُسُلِهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، و﴿مِنْ عَهْدٍ﴾، للمبالغة في تأكيد النفي.

﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾.

(إِنْ) نافية، أي: وَمَا وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ إِلَّا فَسَقَةً فَجَرَةً خَارِجِين عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ، تَارِكِينَ عَهْدَهُ وَوَصِيَّتَهُ، مُكَذِّبِينَ رُسُلَهُ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَقَالَ مُوسَى يَافِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٠٣- ١٠٥

الضمير في قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، للرُّسُلِ الذين تقدم ذكرهم في أَوَّلِ السُّورَةِ، وثم تفيد الترتيب مع التراخي لما بين بعثتهم وبعثة موسى عليه السلام من طول الأمد، يَقُولُ تَعَالَى: ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ ولُوطٍ وَشُعَيْبٍ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ عليهم السلام ﴿بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾، أَيْ: ثُمَّ بَعَثْنَا مُوسَى بِحُجَجِنَا القاطعاتِ، وَدَلَائِلِنَا الْبَيِّنَاتِ، ومُعْجِزَاتِنَا الباهراتِ إِلَى فِرْعَوْنَ قَوْمِهِ، وهُوَ مَلِكُ مِصْرَ فِي زَمَنِ مُوسَى عليه السلامُ، وفِرْعَوْنَ لقبُ لمن كان يحكمُ مِصْرَ.

﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾.

الفاءُ لِلتَّعْقِيبِ أَيْ: فَبَادَرُوا بِالتَّكْذِيبِ، وعُدِّيَ (ظَلَمُوا) بِالْبَاءِ لأَنَّه ضُمِّن مَعْنَى: كَفَرُوا وَتَقْدِيرُ الكلامِ: فَظَلَمُوا إِذْ كَفَرُوا بِهَا؛ لِأَنَّ الْكُفْرَ بِالْآيَاتِ ظلمٌ حَقِيقَةً.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.

أي: فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ حينَ أَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ، بكفرهم بِآيَاتِ اللَّهِ تعالى.

﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾.

أي: وَقَالَ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ: ﴿يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أرسلني إليك، وَأنا جَدِيرٌ بِأَلَّا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ.

وَضُمِّنَ ﴿حَقِيقٌ﴾، مَعْنَى حَرِيصٍ، وتقدير الكلام: إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ وَجَدِيرٌ بِأَلَّا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ، وَحَرِيصٌ عَلَى ذَلِكَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَرَأَ نَافِعٌ ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ﴾، بيَاءِ الْمُتَكَلِّمِ أَيْ: حَقِيقٌ عَلَيَّ عَدَمُ قَوْلِي عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ.

﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

أَيْ: قَدْ جِئْتُكُمْ بِحُجَّةٍ دامغَةٍ ومعجزةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، دَلِيلًا عَلَى صِدْقِي فِيمَا جِئْتُكُمْ بِهِ، فأطلقْ سراح بَنِي إِسْرَائِيلَ، ولا تعذبهم بإذلالهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (١٠٨) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٠٦- ١١٠

لما قال موسى عليه السلام: ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾. قال له فِرْعَوْنُ: إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِحُجَّةٍ تشهَدُ عَلَى صِدْقِ مَا تَقُولُ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ في قولك: ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾.

أي: فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ، ظَاهِرَةٌ لَا شَكَّ فِيهَا وَلَا تَخَيُّلَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلْقَى عَصَاهُ، فَتَحَوَّلَتْ حَيَّةً عَظِيمَةً فَاغِرَةً فَاهَا، مُسْرِعَةً إِلَى فِرْعَوْنَ، فَلَمَّا رَأَى فِرْعَوْنُ أَنَّهَا قَاصِدَةٌ إِلَيْهِ، اقْتَحَمَ عَنْ سَرِيرِهِ، فَاسْتَغَاثَ بِمُوسَى أَنْ يَكُفَّهَا عَنْهُ، فَفَعَلَ.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾.

أي: وأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ جَيبِهِ بَعْدَ مَا أَدْخَلَهَا فِيهِ فَخَرَجَتْ بَيْضَاءُ تَتَلَأْلَأُ بَيَاضًا فِي أَعْيُنِ النَّاظِرِينَ، مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ، وَلَا مَرَضٍ، ثُمَّ أَعَادَهَا إِلَى كُمِّهِ، فَعَادَتْ إِلَى لَوْنِهَا الْأَوَّلِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾.[1]

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾.

أي: قَالَ الْأَشْرَافُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ: إِنَّ هَذَا يَعْنُونَ مُوسَى عَلَيْهِ السلامُ، ﴿لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾، أي: عَلِيمٌ بِالسِّحْرِ، يخدعُ النَّاسَ بسحرِهِ حَتَّى يُخَيَّلَ إِلَيْهِمُ الشَّيْءَ بِخِلَافِ مَا هُوَ عليهِ.

١ - سورة النَّمْلِ: الآية/ ١٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

أي: يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ أَرْضَ مِصْرَ مَعْشَرَ الْقِبْطِ، قَالَ فِرْعَوْنُ مُجِيبًا لَهُمْ: فَأَيُّ شَيْءٍ تَأْمُرُونَ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْرِهِ.

ويحتملُ أن يكونَ قَوْلُهُ: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾. مِنْ بَقِيَّةِ كَلَامِ الْمَلَأِ يخاطبُ بعضُهم بعضًا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١١١- ١١٥

أَيْ: قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ لِفِرْعَوْنَ: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾، أَيْ: أَخِّرْ أَمْرَهُ وَأَمْرَ أَخِيهِ وَلَا تَعْجَلْ فِيهِ بِحُكْمٍ، وَالْإِرْجَاءُ معناه: التَّأْخِيرُ، يُقَالُ: أَرْجَيْتُ هَذَا الْأَمْرَ وَأَرْجَأْتُهُ إِذَا أَخَّرْتُهُ، بِالْهَمْزِ وَتَرْكِ الْهَمْزِ لغتانِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١]؛ أي: تُؤَخِّرُ، كأنهم قالوا له: لا تقتله فإنك إن قتلته دخلت على الناس شبهة، ولكن اغلبه بالحجة، وأبطل سحره بسحر مثله.

﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾.

الْمَدَائِنُ: جَمْعُ مَدِينَةٍ، أَيْ: وابْعَثْ فِي الْأَقَالِيمِ والْمُدُنِ، مَنْ يَحْشُرُ لَكَ السَّحَرَةَ وَيَجْمَعُهُمْ مِنْهَا.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾.

أي: يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ حاذقٍ في علمِ السِّحْرِ وأنواعه، ماهرٌ في صناعته وفي الآيةِ دليلٌ انتشارِ السِّحْرِ، وكثرةِ السَّحَرَةِ كَانُوا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ.

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾.

في الكلام حذفٌ تقديره: فَبَعَثَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ، فلما جَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ ﴿قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾. بحَذْفِ هَمْزَةِ الِاسْتِفْهَامِ، والغرضُ منه التَّقْرِيرُ، وحَذْفِ هَمْزَةِ الِاسْتِفْهَامِ كثيرٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَالْأَجْرُ: الْجَائِزَةُ وَالْجُعْلُ، أَلْزَمُوا فِرْعَوْنَ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ جُعْلًا إِنْ غَلَبُوا مُوسَى بِسِحْرِهِمْ.

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

أَيْ: قَالَ: نَعَمْ إِنَّ لَكُمْ لَأَجْرًا، وَإِنَّكُمْ مَعَ هَذَا الْأَجْرِ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ لَدَيْنَا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قَالُوا يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾.

أي: قَالَ السَّحَرَةُ لِمُوسَى: يَا مُوسَى اخْتَرْ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ عَصَاكَ، وَإِمَّا أَنْ نُلْقِيَ نَحْنُ عِصِيَّنَا، قالوا ذلك ثقةً بما عندهم من السحرِ، وظنًّا منهم أن ما يفعله موسى عليه السلام من جنس سحرهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١١٦- ١٢٠

أي: قَالَ لَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَلْقُوا أَنْتُمْ أَوَّلًا؛ ليكشفَ زيفهم؛ ولأنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لو ألقى قبلهم لظن الناس أن تحولَ عصاه من جنس فعل السحرة.

﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾.

أَيْ: فَلَمَّا أَلْقَوْا الْحِبَالَ وَالْعِصِيَّ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ حتى خَيَّلُوا إليهم أَنَّهَا حَيَّاتٌ تسعى وقصدوا بثَّ الرعبِ في قلوبهم، حتى وقع الخوف في قلب موسى عليه السلام، وأتوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ في عين من يراه.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾.

أَيْ: وأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى حينئذٍ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ، فألقَاهَا فَإِذَا تَلْتَقِمُ مَا أَلْقَوْا مِنْ حِبَالِهِمْ وَعِصِيِّهِمْ وأوهموا الناس كذبًا وزورًا أنها حَيَّاتٌ.

و﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ أَيْ: تبتلعُ ما تخيلَ النَّاسُ أَنَّهَا حَيَّاتٌ تسعى.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَجَعَلَتْ لَا تَمُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ حِبَالِهِمْ وَلَا مِنْ خُشُبهم إِلَّا الْتَقَمَتْهُ، فَعَرَفَتِ السَّحَرَةُ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَيْسَ هَذَا بِسِحْرٍ، فَخَرُّوا سُجَّدًا.

وَقَرَأَ حَفْصٌ: ﴿تَلْقَفُ﴾ بِالتَّخْفِيفِ مِنَ الثُّلَاثِي، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: ﴿تَلَقَّفُ﴾ بِالتَّشْدِيدِ للتكثير والمبالغة، وَأَصْلُهُ (تَتَلَقَّفُ).

وَالْإِفْكُ: الصَّرْفُ عَنِ الشَّيْءِ، وَيُسَمَّى الزُّورُ إِفْكًا، وَالْكَذِبُ الْمَصْنُوعَ إِفْكًا، لِأَنَّ فِيهِ صَرْفًا عَنِ الْحَقِّ وَإِخْفَاءً لِلْوَاقِعِ، وسُمِّي السِّحْرُ إِفْكًا لِأَنَّهم صرفوا أذهانَ النَّاسِ عن حقيقةِ الحبالِ والعُصِي، وأوهموهم أنها خلافُ الوَاقِعِ فكان ذلك كذبًا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

أَيْ: فَظَهَرَ الْحَقُّ وَتَبَيَّنَ للناسِ أنَّ مُوسَى رَسُولٌ من عند اللهِ، وأنَّه صادقٌ في دعواه، وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ من السِّحْرِ وانكشفَ زيفه.

قَالَ مُجَاهِدٌ: ظَهَرَ الْحَقُّ وَذَهَبَ الْإِفْكُ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ.

﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾.

الصَّغَارُ: الْمَذَلَّةُ، أَيْ: فَغَلَبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِرْعَوْنَ وَجُمُوعَهُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَانْصَرَفُوا أذلةً مَقْهُورِينَ، لأنهم أَمَّلُوا أن تكون الغلبةُ للسَّحَرةِ على مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾.

أَيْ: وَأَلْقَى السَّحَرَةُ أَنْفُسَهُمْ حال كونهم سَاجِدِينَ عَلَى الْأَرْضِ، من سرعة استجابتهم للحق وخضوعهم له، إيمانًا بالله تعالى وتصديقًا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقيل لهم سَحَرَةٌ باعتبارِ ما كان منهم؛ أَي: الَّذِينَ كَانُوا سَحَرَةً.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٢١- ١٢٥

قَالَ السَّحَرَةُ حين عاينوا عصا وقد انقلبت ثُعْبَانًا عظيمًا، ورأوها تبتلعُ ما تخيلَ النَّاسُ أنَّها حيَّاتٌ: قَالُوا ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾، وصَدَّقْنَا بِمَا جَاءَنَا بِهِ مُوسَى من الله تعالى.

وخصوا مُوسَى وَهَارُونَ بالذكر بعد قولهم: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، لئلا يلتبس كلامهم على العوام الذين كانوا يعتقدون أن فرعون هو الإله، فيكون المعنى: لا كما يزعم فرعون، من قوله: (أنا ربكم الأعلى).

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾.

أي: فقَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِرَبِّ مُوسَى قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ بالإيمانِ، وَالِاسْتِفْهَامُ لِلْإِنْكَارِ وَالتَّهْدِيدِ.

﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

أي: إِنَّ تَصْدِيقُكُمْ إِيَّاهُ، وإِيمَانَكُم باللهِ لَخِدْعَةٌ وقت عن اتفاق بينكم لِتُخْرِجُوا أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنْهَا.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

أي: فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَا أَفْعَلُ بِكُمْ، وهو تهديدٌ ووعيدٌ لهم.

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾.

أي: يَقْطَعُ مِنْ أَحَدِهِمْ يَدَهُ الْيُمْنَى وَرِجْلَهُ الْيُسْرَى، أَوْ يَقْطَعَ يَدَهُ الْيُسْرَى وَرَجَلَهُ الْيُمْنَى، فَيُخَالِفَ بَيْنَ الْعُضْوَيْنِ فِي الْقَطْعِ، وَيُقَالُ: إِنَّ فِرْعَوْنَ هُو أَوَّلَ مَنْ سَنَّ هَذَا الْقَطْعَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

أي: زيادة في النكال بهم، وقال: ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾، بالتشديدِ للمبالغة؛ كما قال تعالى في سورة طه: ﴿وَلأصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾. [طه:٧١]، مبالغة في الشدِّ على الجذوع.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَوَّلُ مَنْ صَلَبَ وَأَوَّلُ مَنْ قَطَعَ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلَ مِنْ خِلَافٍ فِرْعَوْنُ.

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾.

أي: قَالُوا إِنَّا راجعون إِلَى رَبِّنَا، وإِلَيْهِ مَصِيرُنا، فمهما فعلت بنا فلن يضرنا، لأن سلطانك في الدنيا وهي زائلة؛ كما قال تعالى في سورة طه: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.[1]

١ - سورة طه: الآية/ ٧٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٢٦، ١٢٧

النقمة شدة الكراهية للشيء، أَيْ: قالوا مَا تكره مِنَّا يَا فِرْعَوْنُ وتُنْكِرُ عَلَيْنَا، إِلَّا مِنْ أَجْلِ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ مَا أَتَيْنَا بِذَنْبٍ تُعَذِّبُنَا عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا.

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾.

الْإِفْرَاغُ الصَّبُّ، سألوا الله تعالى أن يفيض عليهم الصبرَ، لئلا تضعف نفوسهم ويجزعوا عِنْدَ الْقَطْعِ وَالصَّلْبِ، وجاء لفظ: (صَبْرًا) نكرةً ليَدُلَّ عَلَى الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ أَيْ صَبْرًا كَامِلًا تَامًّا.

ثُمَّ سَأَلُوا اللهَ تعالى الْمَوْتَ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَهُوَ الاستسلامُ لأمره تعالى، والِانْقِيَادُ إِلَى دِينِهِ وشرعِهِ.

قيل: كَانُوا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ سَحَرَةً فجارًا، ثُمَّ صَارُوا فِي آخِرِهِ شُهَدَاءَ أبرارًا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانُوا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ سَحَرَةً، وَفِي آخِرِهِ شُهَدَاءَ.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾.

لما رأى فرعون الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام، ألقى الله تعالى في قلبه الخوف والمهابة من موسى، فلَمْ يَتَعَرَّضْ له بأَخْذٍ وَلَا حَبْسٍ، فَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ محرضين له: أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ؛ أَيْ: أَتَدَعُهُمْ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ، بإفسادِ أَهْلِ رَعِيَّتِكَ وتغيير دينهم ودَعْوتِهِمْ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ سواك، وإذا فعلوا ذلك تركوك وتركوا عبادتك، ومعنى: ﴿وَآلِهَتَكَ﴾، فقد كان فرعون يُعبَدُ ولا يَعبُدُ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾.

أي: سنبالغ في قتل أبنائهم، وَإِذْلَالِهِم باستخدام نسائهم، وَإِنَّا غالِبونَ، وهم مقهورونَ تحتَ أيدينا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٢٨- ١٢٩

لما عزم فرعون على التنكيل ببني إسرائيل، قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ فِيمَا أراده بكم، وَاصْبِرُوا على ما أصابكم من الضُّرّ والمكروه.

﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

أي: إن الله تعالى بيده الملك، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، وإليه يرجع الأمر كله، والكلامُ كِنَايَةٌ عَنْ قربِ زَوَالِ ملك فِرْعَوْنَ، واستعباد بني إسرائيل، فإن من سنن الله تعالى في خلقه، هلاك الأمم بسبب الظلم؛ كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [الكهف: ٥٩]، وقد استشرى الظلم في حكم فرعون، مع كفره بالله وتكذيبه لرسول الله موسى عليه السلام.

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

الْعَاقِبَةُ: آخرُ كلِ شيءٍ، وَالمرَادُ بها الْعَاقِبَةُ الْمَحْمُودَةُ لِمَنِ اتَّقَى اللَّهَ بِاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ.

﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾.

أَيْ: قَالُوا قَدْ وقعَ عَلَيْنَا الأَذَى والْإِذْلَالُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا بِرِسَالَةِ اللَّهِ، بِقَتْلِ أَبْنَائِنَا، ووقعَ عَلَيْنَا الأَذَى والْإِذْلَالُ مِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا، حين غُلِبَ السحرة، وقَالَ فِرْعَوْنُ: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾، وهذا من سوء أدبهم مع نبي الله موسى عليه السلام؛ لأنهم أرادوا أنهم ما استفادوا شيئًا من بعثته عليه السلام.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾.

لما رأى موسى عليه السلام أنهم لم يتسلوا بما كناه لهم صرح هنا بما وعد الله تعالى به من إهلاك فرعون واستخلاف المتقين؛ ليقوى يقينهم في النجاة، وتعظم رغبتهم في الخلاص.

﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾.

أي: يجعلكم خلفاء بعدهم في الأرض.

﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

قال الزجاج: فيرى ذلك بوقوعه منكم؛ لأن الله تعالى لا يجازي عباده على ما يعلمه منهم، إنما يجازيهم على ما يقع منهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٣٠- ١٣٢

يخبر الله تعالى عما ابتلى به آلَ فِرْعَوْنَ من البلايا والمحن كذبوا موسى عليه السلام، ولجوا في طغيانهم، ابتلاهم الله تعالى بالجدب والقحط، وهو أول ما نزل بهم من عقاب الله تعالى، والواو هي الموطئة للقسم، وتقدير الكلام: (أقسمُ لَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ.....)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ قَالَ: سِنِيّ الْجُوعِ.

قال الزجاج: السنون في كلام العرب: الجدوب، يقال: مستهم السَّنة، ومعناه: جدب السَّنة، وشدة السَّنة.

﴿وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾.

قلة المحاصيل من الحبوب والثمار، ومن هنا بيانية، قَالَ رَجَاءُ بْنُ حَيْوة: كَانَتِ النَّخْلَةُ لا تحمل إلا ثمرة واحدة.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

أي: ليتعظوا وتلينَ قلوبهم، ويعلموا أن ما هم فيهم من النعيم إنما هو من فضل الله تعالى.

﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾.

أَيْ: فَإِذَا جَاءَهُمُ الرِّزْقُ والخيرُ قَالُوا: لَنَا هَذَا الخيرُ ونَسْتَحِقُّ هذا الرزقَ بما لنا من المعارفِ، وما عندنا من الوسائل.

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾.

أَيْ: وَإِنْ يُصِبْهُمْ جَدْبٌ وَقَحْطٌ يقولوا هذا بشؤم مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ، وبما جاءنا بِهِ من ذلك الدين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

أي: إنما أصابهم ما أصابهم مِنْ قِبَل اللَّهِ، وليس كما يزعمون، ولكنهم قوم لا علم لهم بسنن الله في خلقه.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ قَالَ: إِلَّا مِنْ قِبَل اللَّهِ.

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

ثم أعلنوا عن إصرارهم على الكفر، وعدم الاستجابة لأمر الله تعالى مهما رأوا من آيات الله تعالى، وهذا يبين أن كفرهم كان كفر إباء واستكبار، أي: قَالُوا يَا مُوسَى مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ حجةٍ لِتَلْفِتَنَا بِهَا عَمَّا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ دِينِ فِرْعَوْنَ، فلن نؤمن لك، ولن نتبعك.

وقالوا: ﴿لِتَسْحَرَنَا بِهَا﴾، ليسوغوا لأنفسهم مخالفته، وينفوا الناس عن الإيمان به، ومتابعته.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٣٣- ١٣٥

لما تمرد فرعون وقومه وصرحوا بعدم الإيمان بموسى عليه السلام وبما جاءهم به من الآيات، أرسل الله تعالى عليهم الآيات تترا، والمحن متتابعة يأخذ بعضها بخطام بعض، يعلمون علم اليقين أنها ما أصابتهم إلا بكفرهم بالله تعالى، وتكذيبهم لنبي الله موسى عليه السلام.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾.

أَيِ: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَطَرَ الشَّدِيدَ، فكدَّرَ عَيشَهُم، وفاضَ النيل بالماء حتى هدَمَ بيوتَهُم، وأتلفَ زُرُوعَهم وثِمَارَهم.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا جَاءَ مُوسَى بِالْآيَاتِ، كَانَ أَوَّلُ الْآيَاتِ الطُّوفَانَ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ.

ودام ذلك الطوفان حتى كادوا أن يهلكوا، فأتوا موسى عليه السلام فقالوا: ﴿يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، فكشف الله تعالى عنهم العذاب، وتحولَ ذَلِكَ الطوفانُ من نقمة إلى نِعْمَةٍ فأنبت لهم به الزرع، وكثرر به الخير، فنكثوا عهدهم، وأخلفوا وعدهم، ولجوا في عنادهم، واستمروا على كفرهم.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: الطُّوفَانُ الْمَوْتُ عَلَى كُلِّ حَالٍ. والأول أولى.

﴿وَالْجَرَادَ﴾.

فأرسل الله تعالى عليهم الجراد فأكل زروعهم وأتلف محاصيلهم، حتى افتقروا بعد غنى، وأمحلوا بعد يسار وسعة، فأتوا موسى عليه السلام، فأعطوه العهود والمواثيق على أن يسأل الله تعالى أن يكشف عنهم ففعل فنكثوا كما فعلوا أول مرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَالْقُمَّلَ﴾.

وهو نَوْعٌ مِنَ الْقُرَادِ يُسَمَّى الْحُمْنَانُ يَمْتَصُّ دَمَ الْإِنْسَانِ، قَالَه أَبُو عُبَيْدَةَ، فَأَكَلَ دَوَابَّهُمْ وَزُرُوعَهُمْ، وَلَزِمَ جُلُودَهُمْ كَأَنَّهُ الْجُدَرِيُّ عَلَيْهِمْ، وَكدَّر عيْشَهُم حتى مَنَعَهُمُ النَّوْمَ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ السُّوسُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْحِنْطَةِ.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْبَرَاغِيثُ. وَقَالَ الْحَسَنُ: دَوَابُّ سُودٌ صِغَارٌ.

﴿وَالضَّفَادِعَ﴾.

أي: وَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الضَّفَادِعَ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ، وَوَقَعَتْ فِي آنِيَتِهِمْ، وأفسَدَتْ عَلَيْهِمْ طَعَامَهُمْ، وَمَلَأَتْ فُرُشَهُمْ. وَلَقُوا مِنْهَا أَذًى شَدِيدًا.

﴿وَالدَّمَ﴾.

وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الدَّمَ، فخالط طعامهم وشرابهم، فَصَارَتْ مِيَاهُ آلِ فِرْعَوْنَ دَمًا، لَا يَسْتَقُونَ مِنْ بِئْرٍ وَلَا نَهْرٍ، وَلَا يَغْتَرِفُونَ مِنْ إِنَاءٍ إِلَّا عَادَ دَمًا عَبِيطًا، فَجَعَلُوا لَا يَأْكُلُونَ إِلَّا الدَّمَ، وَلَا يَشْرَبُونَ إِلَّا الدَّمَ.

﴿آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾.

أي: آيَاتٌ بيناتٌ، بَعْضُهَا عَلَى إِثْرِ بَعْضٍ، فَاسْتَكْبَرُوا عن الانقيادِ لأمر الله تعالى، والإيمانِ به وبرسوله عليه السلام، وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

أي: وَلَمَّا حَلَّ بِهِمْ عَذَابُ اللَّهِ وَسَخَطُهُ، بتلك الآياتِ المذكورة وهي الطُّوفَانُ وَالْجَرَادُ وَالْقُمَّلُ وَالضَّفَادِعُ وَالدَّمُ، فَزِعُوا إِلَى مُوسَى عليه السلام، بعد كل آية يسألونه أن يدعو رَبَّهُ أن يكْشِفَ ذَلِكَ عَنْهُمْ، ويعطونه العهود والمواثيق لَئِنْ كَشَفَ اللهُ عَنْهُمُ الرِّجْزَ لَنُؤْمِنُنَّ لَه وَلَيُرْسِلُنَّ مَعَه بَنِي إِسْرَائِيلَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقيل: الرِّجْزُ طَاعُونٌ أرسله الله تعالى عليهم، ولعله أثر من آثار تلك الآيات، لما يحدث غالبا من انتشار الأوبئة مع الطوفان وتلك الآفات.

قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ: كَانَ طَاعُونًا مَاتَ بِهِ مِنَ الْقِبْطِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ سَبْعُونَ أَلْفًا.

وَالراجِحُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالرِّجْزِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنَ الْآيَاتِ، والطاعون تابعٌ لها إن وجد، لا سيما و والطاعون لم يرد له ذكرٌ في الكلامِ، والرِّجْزُ يطلقُ على العذابِ، والألف واللام في (الرِّجْز)، للعهد؛ أي: الذي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٣٥

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾.

أي: فَلَمَّا كَشَفَ اللهُ تعالى عَنْهُمُ الرِّجْزَ، إلى أجلٍ أجَّلَهُم الله تعالى إليه، وقدَّرَ عليهم فيه الهلاكَ.

وقوله تعالى: ﴿إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ﴾، اعتراض في الكلام لبيان ما قدره الله عليهم من الإهلاك على كفرهم بربهم، وتكذيبهم لرسول الله موسى عليه السلام.

﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾.

أي: إِذَا هُمْ يَنْقُضُونَ عهدهم، ويرجعون إلى غيهم، بدلًا من أن يؤمنوا بربهم، ويصدقوا رسولهم.

وَالنَّكْثُ: نَقْضُ الْمَفْتُولِ مِنْ حَبْلٍ أَوْ غَيرِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ [النَّحل: ٩٢]، وَاسْتُعِيرَ لِعَدَمِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ.

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: "لَمَّا أَتَى مُوسَى فِرْعَوْنَ، قَالَ لَهُ: أَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَبَى عَلَيْهِ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ، وَهُوَ الْمَطَرُ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ مِنْهُ شَيْئًا، فَخَافُوا أَنْ يَكُونَ عَذَابًا، فَقَالُوا لِمُوسَى: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ، لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ، وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَدَعَا رَبَّهُ، فَلَمْ يُؤْمِنُوا، وَلَمْ يُرْسِلُوا مَعَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَأَنْبَتَ لَهُمْ فِي تِلْكَ السَّنَةِ شَيْئًا لَمْ يُنْبِتْهُ قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الزَّرْعِ وَالثَّمَرِ وَالْكَلَإِ، فَقَالُوا: هَذَا مَا كُنَّا نَتَمَنَّى، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَرَادَ، فَسَلَّطَهُ عَلَى الْكَلَإِ. فَلَمَّا رَأَوْا أَثَرَهُ فِي الْكَلَإِ عَرَفُوا أَنَّهُ لَا يَبْقَى الزَّرْعُ، فَقَالُوا: يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ فَيَكْشِفَ عَنَّا الْجَرَادَ، فَنُؤْمِنَ لَكَ، وَنُرْسِلَ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَدَعَا رَبَّهُ، فَكَشَفَ عَنْهُمُ الْجَرَادَ، فَلَمْ يُؤْمِنُوا، وَلَمْ يُرْسِلُوا مَعَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَدَاسُوا وَأَحْرَزُوا فِي الْبُيُوتِ، فَقَالُوا: قَدْ أَحْرَزْنَا. فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقُمَّلَ، وَهُوَ السُّوسُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ، فَكَانَ الرَّجُلُ يُخْرِجُ عَشَرَةَ أَجْرِبَةٍ إِلَى الرَّحَى، فَلَا يَرِدُ مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَقْفِزَةٍ، فَقَالُوا: يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَكْشِفُ عَنَّا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْقُمَّلَ، فَنُؤْمِنَ لَكَ، وَنُرْسِلَ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَدَعَا رَبَّهُ، فَكَشَفَ عَنْهُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يُرْسِلُوا مَعَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَبَيْنَا هُوَ جَالِسٌ عِنْدَ فِرْعَوْنَ إِذْ سَمِعَ نَقِيقَ ضِفْدَعٍ، فَقَالَ لِفِرْعَوْنَ: مَا تَلْقَى أَنْتَ وَقَوْمُكَ مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ كَيْدُ هَذَا؟ فَمَا أَمْسَوْا حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ يَجْلِسُ إِلَى ذَقْنِهِ فِي الضَّفَادِعِ، وَيَهِمُّ أَنْ يَتَكَلَّمَ فَتَثِبُ الضَّفَادِعُ فِي فِيهِ، فَقَالُوا لِمُوسَى: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَكْشِفُ عَنَّا هَذِهِ الضَّفَادِعَ، فَنُؤْمِنَ لَكَ، وَنُرْسِلَ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَكُشِفَ عَنْهُمْ فَلَمْ يُؤْمِنُوا فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الدَّمَ، فَكَانَ مَا اسْتَقَوْا مِنَ الْأَنْهَارِ وَالْآبَارِ، أَوْ مَا كَانَ فِي أَوْعِيَتِهِمْ وَجَدُوهُ دَمًا عَبِيطًا، فَشَكَوْا إِلَى فِرْعَوْنَ فَقَالُوا: إِنَّا قَدِ ابْتُلِينَا بِالدَّمِ، وَلَيْسَ لَنَا شَرَابٌ. فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ سَحَرَكُمْ. فَقَالُوا: مِنْ أَيْنَ سَحَرَنَا وَنَحْنُ لَا نَجِدُ فِي أَوْعِيَتِنَا شَيْئًا مِنَ الْمَاءِ إِلَّا وَجَدْنَاهُ دَمًا عَبِيطًا؟ فَأَتَوْهُ فَقَالُوا: يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَكْشِفُ عَنَّا هَذَا الدَّمَ، فَنُؤْمِنَ لَكَ، وَنُرْسِلَ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَدَعَا رَبَّهُ، فَكَشَفَ عَنْهُمْ، فَلَمْ يُؤْمِنُوا، وَلَمْ يُرْسِلُوا مَعَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ".[1]

١ - تفسير الطبري (١٣/ ٥٦)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٣٦- ١٣٧

يخبر الله تعالى عن عاقبة فرعون وقومه بأنه تعالى انتقم منهم فسلبهم نعمه، وأحل بهم بأسه فأغرقهم في اليم لما تكرر منهم التكذيب بآيات الله، والإعراض عنها وعدم الاعتبار بها، حتى صاروا كالغافلين عنها.

والمراد بقوله: ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾، كانوا عنها معرضين، لأن تغافلهم كان عن قصد؛ فكان التكذيب والإعراض عن آيات الله سبب النقمة والإغراق، والمراد باليم هنا البحر الأحمر.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾.

الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ هُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ كَمَا قال تعالى فِي سورةِ الشُّعَرَاء: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.[1]

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾، وما قال: (بَنِي إِسْرَائِيلَ) إشارة إلى العاقبة للمتقين، وأنها سنته تعالى في خلقه، وليس الأمر قاصرًا على بني إسرائيل، وبشارة للمستضعفين من هذه الآمة أن العاقبة لهم على ضعفهم.

وقوله: ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾، عام يراد به الخصوص، فالمرادُ بالْأَرْضِ هنا أَرْضُ الشَّأْمِ وَمِصْرَ، وَمَشَارِقُهَا وَمَغَارِبُهَا جِهَاتُ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ بِهَا.

١ - سُورَةُ الشُّعَرَاء: الآيات/ ٥٧- ٥٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾.

قَالَ مُجَاهِدٌ هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾

﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾.

والتَّدْمِيرُ: التَّخْرِيبُ الشَّدِيدُ، وهو مَا كانَ يَصْنَعُهُ فِرْعَوْنُ الْمَصَانِعِ، وما كان يشيده من المباني الشاهقة والقصور، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيْ مَا كَانُوا يَبْنُونَ مِنَ الْقُصُورِ وَغَيْرِهَا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٣٨- ١٤٠

لما تحقق وعد الله تعالى لبني إسرائيل بالنجاة من فرعون وقومه، والاستخلاف في الأرض والتمكين، شرع في ذكر قصة بني إسرائيل، وما قابلوا به نعم الله من الكفران والعناد العصيان.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾.

وَالْمُجَاوَزَةُ: الْبُعْدُ عَنِ الْمَكَانِ عَقِبَ الْمُرُورِ فِيهِ، يُقَالُ: جَاوَزَ الْوَادِيَ. إِذَا قَطَعَهُ وَخَلَفَهُ وَرَاءَهُ وَجَاوَزَ بِغَيْرِهِ عَبَرَ بِهِ.

والعكوف: ملازمة الشيء ومنه الاعتكاف وهو لزوم المسجد بنية العبادة.

يخبر الله تعالى أنه لما نجى بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ وَجَاوَزَ بِهم الْبَحْرَ، أَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يعبدون أَصْنَامًا لَهُمْ، ملازمين لها ومنقطعين إليها.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

أي: فلما رأى بنو إسرائيل تلك الأصنام سألوا مُوسَى أن يَجْعَلْ لَهُمْ صنمًا يعبدونه، ويتخذونه إِلَهًا كَمَا يفعلُ أولئك بأصنامهم، وإنما فعلوا ذلك لشدة جهلهم وغلبة المادية عليهم؛ كما قالوا لموسى عليه السلام: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾. [الْبَقَرَة: ٥٥]، ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، ما يجب عليكم من إفراد الله تعالى بالعبادة، وتنزيهه عن النقائص، وما له من صفات الكمال ونعوت الجلال.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

أي: إِنَّ هؤُلاءِ الوثنيين مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ أَيْ مُهْلَكٌ، وَالتَّبَارُ: الْهَلَاكُ، ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، الْبُطْلَانُ عَدَمُ الشَّيْءِ إِمَّا بِعَدَمِ ذَاتِهِ أَوْ بِعَدَمِ فَائِدَتِهِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نسلك سبيلهم، وأن نفعل فعلهم؛ فعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾. [الأعراف: ١٣٨]، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ".[١]

﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

أَيْ: أَأَطْلُبُ لَكُمْ إِلَهًا غَيرَ اللَّهِ تَعَالَى تعبدونه، واللهُ فَضَّلَكُمْ عَلَى عَالَمِي زَمَانِكُم؟

والاستفهام للإنكار والتوبيخ.

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢١٨٩٧، والترمذي- أَبْوَابُ الْفِتَنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حديث رقم: ٢١٨٠، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (١٤١) وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٤١، ١٤٢

لما قال بنوا إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾. قَالَ اللهُ تَعَالَى لهم مذكرًا لهم بنعمته عليهم، وإحسانه إليهم اذكروا ﴿إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ.....﴾.

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾.

لما ذَكَّرَ اللهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بما امتن عليهم من النجاة من مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، ذكر ما أنعم عليهم مِنَ نعمةِ الْهِدَايَةِ وَإِنزالِ التَّوْرَاةِ، التي فِيهَا أَحْكَامُهُمْ وَتَفَاصِيلُ شَرْعِهِمْ، فَذَكَرَ تَعَالَى مبدأ ذلك وأَنَّهُ وَاعَدَ مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً، فَصَامَهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: إِنَّهَا ثَلَاثُونَ لَيْلَةً مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ، فَلَمَّا تَمَّ الْمِيقَاتُ اسْتَاكَ بِلِحَاءِ شَجَرَةٍ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُكْمِلَ بِعَشْرٍ أَرْبَعِينَ، فصام الْعَشْرَ الْأُوَل مَنْ ذِي الْحِجَّةِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ومُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾: ذُو الْقَعْدَةِ، وَالْعَشْرُ الْأُوَلُ مَنْ ذِي الْحِجَّةِ.

﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

لَمَّا مَضَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَوْعِدِ رَبِّهِ، أَوْصَى هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْإِصْلَاحِ وَعَدَمِ الْإِفْسَادِ؛ فقَالَ له: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾، أي: كُنْ خَلِيفَتِي فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ حتى أَرْجِعَ، ﴿وَأَصْلِحْ﴾، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وترغيبهم في طاعة الله، وتحذيرهم من معصيته، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾، أي: وَلَا تَسْلُكْ طَرِيقَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ بِمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٤٣

يخبر الله تعالى عن حال موسى عليه السلام حين جاء للوقت الذي وقته الله تعالى له، واللام في: ﴿لِمِيقَاتِنَا﴾، للاختصاص؛ أي: اختص مجيئه لميقاتنا، وقيل: اللام هنا بمعنى (عند) والمعنى: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى للوقت الذي وقته الله تعالى له، واستمع لكلام الله تعالى بلا واسطة اشتاق لرؤية الله تعالى فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾، فقال الله تعالى له: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾، يعني في الدنيا، فإن المؤمنين سيرون ربهم يوم القيامة، كما دل على ذلك القرآن والأحاديث المتواترة.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [الْقِيَامَةِ: ٢٢، ٢٣]، وَقَالَ تَعَالَى عَنِ الْكَافِرِينَ: ﴿كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾.[1]

قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ: فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُحْجَبُون عَنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ البَدْرِ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ».[2]

وقد أنكر طوائف من أهل البدع رؤية المؤمنين لله تعالى مستدلين بهذه الآية، وزعموا أن (لن) للنفي المؤبد، والنفي خبر، وخبر الله تعالى صدق، لا يدخله النسخ، وردَّ عليهم أهل

---

١ - سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ: الآية/ ١٥

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، حديث رقم: ٧٤٣٤، ومسلم-كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ فَضْلِ صَلَاتَيِ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا، حديث رقم: ٦٣٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

السنة بما ذكرناه من النصوص الصريحة من القرآن، وبما تواتر من الأحاديث التي تفيد رؤية المؤمنين لله تعالى يوم القيامة، وأن (لن) ليست للنفي المؤبد. قال ابن مالك في "الكافية":

ومـــن رأى النفـــي بلـــن مؤبـــدًا **** فقولـــه اردد وســـواه فاعضـــدا

﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾.

أي: وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فإنه أعظم منك خلقةً، وأقوى منك بنيةً، فَإِنْ ثَبَتَ الْجَبَلُ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾.

أي: فلما نظر الله تعالى للجبل تفتت وصار ترابًا؛ قَالَ عِكْرِمَةُ: نَظَرَ اللَّهُ إِلَى الْجَبَلِ، فَصَارَ صَحْرَاءَ تُرَابًا.

﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾.

أي: وخر موسى مغشيًّا عليه، والصعق يطلق ويراد به الموت؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزُّمَرِ:٦٨]، ويطلق ويراد به الغشي كما في هذه الآية، بدليل قوله تعالى بعدها: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾، وَالْإِفَاقَةُ لا تَكُونُ إلا مِنْ غَشْيٍ.

﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾.

أي: فلما أفاق من غشيته نزَّه اللهَ تعالى وعظَّمَهُ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ في دارِ الدُّنْيَا.

﴿تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي: تبت إليك من سؤال الرؤية في الدنيا، ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أَنَّهُ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ قبلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٤٤، ١٤٥

لَمَّا سَأَلَ مُوسَى عَلَيهِ السَّلامُ رَبَّهُ تَعَالَى الرُّؤْيَةَ وَمَنَعَهُ اللَّهُ، عَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعَمِهِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي مَنَّ عَلَيْهِ بِهَا وأعظمها اصطفاءُ اللهِ تعالى له على النَّاسِ بالرسالةِ، وبكَلَامِهِ بغيرِ واسطةٍ، وكتابةِ الألواحِ له بيدِهِ تَعَالَى، وَأَمَرَهُ أَنْ يَشْتَغِلَ بِشُكْرِهَا.

﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي﴾.

يخبر الله تعالى مُوسَى عَلَيهِ السَّلامُ باصْطِفَائِهُ عَلَى النَّاسِ بالرسالةِ، وبكَلَامِهِ تطييبًا لخاطره لما مَنَعَهُ الرُّؤْيَةَ، وَلَا يَلْزَمُ اصْطِفَاؤُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَإِبرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؛ لما ثبت عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ».[1]

ولقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا﴾.[2]

﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

أَيْ: فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ مِنَ الْمِنَحِ الإلهيةِ ومنها الْوَحْي والتَشريع وكن ممن يلهجُ بشكرِ نعمِ اللهِ تعالى.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.

ثُمَّ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ آتَاهُ الأَلْوَاحَ منزلةً من السَّماءِ وَأَنَّهُ كَتَبَ لَهُ فِيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ من المَوَاعِظِ والتذكير بعظمةِ اللهِ تعالى، وَتَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ فِي دِينِهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ، مما شرعه الله تعالى لبني إسرائيل.

---

١ – رواه مسلم– كِتَابُ الْفَضَائِلِ، بَابُ تَفْضِيلِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ، حديث رقم: ٢٢٧٨

٢ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ١٢٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾.

أَيْ: خُذْهَا بِجِدٍّ وعَزْمٍ عَلَى الطَّاعَةِ، وَالْمُرَادُ مَا فِيهَا مِنَ المَوَاعِظِ والأحكامِ.

﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾.

أَيْ: وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَعْمَلُوا بِالْأَحْسَنِ وَهُوَ جَمِيعُ مَا فِيهَا، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٥]، وَقِيلَ: أَحْسَنُهَا الْفَرَائِضُ وَالنَّوَافِلُ، وَأَدْوَنُهَا الْمُبَاحُ، وقِيلَ: يَعْمَلُوا بِالْأَوَامِرِ وَيَتْرُكُوا النَّوَاهِيَ، وَيَتَدَبَّرُوا الْأَمْثَالَ وَالْمَوَاعِظَ.

﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾.

تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ بالنَّارِ لِمَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللهِ تَعَالَى؛ أي: سَأُرِيكُمْ مَصِيرَ الْفَاسِقِينَ، وَإِلَيَّ أي دَارِ يَنقَلِبُونَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٤٦

لما أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يأخذ ما في الألواح بقوة وأن يأمر قومه أن يأخذوا بأحسنها في قوله: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾، حذرهم الله تعالى من الكبر وبين لهم مغبته، وسوء عاقبة المتكبرين فقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾؛ أي: سَأَصْرِفُهم عَنْ تَدَبُّرِ آيَاتِيَ وفَهْمِ مَعَانيها.

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: سَأَمْنَعُهُمْ فَهْمَ الْقُرْآنِ.

وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَجَبَّرُونَ عَلَى عِبَادِي وَيُحَارِبُونَ أَوْلِيَائِي حَتَّى لَا يُؤْمِنُوا بِي.

عُوقِبُوا بِحِرْمَانِ الْهِدَايَةِ لِعِنَادِهِمْ لِلْحَقِّ واستكبارهم عن الانقياد له؛ كَقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.[1]

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: لاَ يَتَعَلَّمُ العِلْمَ مُسْتَحْيٍ وَلاَ مُسْتَكْبِرٌ.

وَقيلَ: المراد بالآيات هنا الآيات الكونية المبثوثة في الكون الدالة على وحدانية الله وحكمته البالغة؛ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: يعني عن خلق السماوات والأرض وما فيهما، أي سأصرفهم أَنْ يَتَفَكَّرُوا فِيهَا وَيَعْتَبِرُوا بِهَا.

﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾.

بيان أنهم ليس عندهم من دواعي الكبر شيءٌ، فهم متكبرون مع ضعفهم وعجزهم وجهلهم، كقوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١]؛ يعني ليس عندهم شبهة تبيح لهم قتل النبيين، وإلا فلا يتصور قتل نبي بحقٍ.

---

١ - سورة الصف: الآية/ ٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾.

أي: وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ دالة على وحدانية الله تعالى لَا يُؤْمِنُوا بِهَا.

﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾.

أَيْ: وَإِنْ استبانَ لهم طَرِيقُ النَّجَاةِ ووضحت معالمه لَا يَسْلُكُوه، وَإِنْ ظَهَرَ لَهُمْ طَرِيقُ الغيّ وَالضَّلَالِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾.

أَيْ: وعلةُ ذَلِكَ أَنَّهُم كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا المنزلةِ عليهم، وإعراضهم عن الانتفاع بها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٧) وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٤٧، ١٤٨

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى العلة التي من أجلها مَنَعَ الْمُتَكَبِّرِينَ فَهْمَ الْقُرْآنِ وصرفهم بسببها عَنْ آيَاتِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَكانُوا عَنْها غافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، بَيَّنَ تَعَالَى حَالَ أُولَئِكَ الْمُكَذِّبِينَ يوم القيامة، تنفيرًا للناس عن طريقتهم، وتحذيرًا لهم عن سلوك سبيلهم، وأنهم لا ينفعهم يوم القيامة عملٌ صالحٌ وإن استحسنه الناس منهم.

فمن كذَّبَ بآياتِ اللهِ تعالى، وماتَ على ذلك فقد حَبِطَ عَمَلُهُ وإنْ عمل من أعمال الخير ما عمل.

﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

سؤال الغرض منه التقرير، وأن الله تعالى لا يظلم الناس شيئًا.

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ﴾.

ثم أخبر الله تعالى عن حالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدِ مَا فَارَقَهُمْ مُوسَى لِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ؛ بأنهم اتخذوا عِجْلًا لَهُ خُوَارٌ، وَهُو صَوْتُ الْبَقَرِ، صَاغَهُ لَهُمُ السَّامِرِيُّ مِنْ حُلِيّ كَانُوا اسْتَعَارُوهُ مِنْ الْقِبْطِ، فافتتن به بنو إسرائيل حتى عبدوه من دون الله تعالى وَقَالُوا: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾.[1]

وَأَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَلِكَ وَهُوَ عَلَى الطُّورِ؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾.[2]

١ - سُورَةُ طه: الآية/ ٨٨

٢ - سُورَةُ طه: الآية/ ٨٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾.

ثم أخبر الله تعالى عن سخافة عقولهم، وقلة إدراكهم، كما أخبر عن رقة دينهم، وفساد اعتقادهم فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾، أي: ألم يدرك هؤلاء أنه مجرد صَنَمٍ لَا يُكَلِّمُهُمْ، وَلَا يُرْشِدُهُمْ إِلَى خَيْرٍ، ولا يجلب لهم نفعًا، ولا يدفعُ عنهم ضرًا؟ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلا يَرَوْنَ أَلا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلا وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا﴾.[1]

﴿اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

أي: وَكَانُوا ظَالِمِينَ بالإعراض عن عبادة خالقهم تبارك وتعالى، وعبادة ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئًا.

١ – سُورَةُ طه: الآية/ ٨٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٤٩، ١٥٠

أَيْ: وَلَمَّا سَقَطَ النَّدمُ فِي أَيْدِيهِمْ، والمرادُ: وَلَمَّا نَدِمُوا عَلَى مَا فَعَلُوا؛ قال الفراء، والزجاج: يقال: للنادم على ما فعل، المتحسر على ما فرط فيه: قد سقط في يده، وأسقط، وهو أسلوب لا عهد للعرب به قبل نزول القرآن؛ قَالَ الزَّجَّاجُ هُوَ نَظْمٌ لَمْ يُسْمَعْ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَلَمْ تَعْرِفْهُ الْعَرَبُ.

﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾.

أي: وَلَمَّا تبين لهم أنهم قد حادوا عن سواءِ السبيل، وكفروا برب العالمين، أقبلوا على الله تعالى تائبين واعترفوا بذنبهم.

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

أي: قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَتُبْ عَلَيْنَا رَبُّنَا، ويَتَجَاوَزْ عَنَّا لنكوننّ من المغبونين في الدنيا والآخرة.

وإنما كان هذا الندم والاستغفار بعد رجوع موسى إليهم، وقدم ذكر الندم والاعتراف بالذنب هنا تحذيرًا من مغبة الضلال.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾.

أي: وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ مِنْ مُنَاجَاةِ رَبِّهِ تَعَالَى رَجَعَ وَهُوَ شديدٌ الغضبِ، لما علم بكفر قومه وعبادتهم العجل من دون الله تعالى.

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: الْأَسَفُ: أَشَدُّ الْغَضَبِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾.

أي: بئس ما فعلتموه بعد ما تركتكم، يعني اتخاذهم العجل، ومعنى: خَلَفْتُمُونِي قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي.

وذكر قوله: ﴿مِنْ بَعْدِي﴾. بعد قوله: ﴿خَلَفْتُمُونِي﴾. وهو لا يكون إلا كذلك لبيان مدى انحرافهم عن هديه، ونبذهم طريقته.

﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾.

أي: استعجلتم حلول سخط الله، ونزول غضبه عليكم بالكفر به وعبادة غيره؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٥٠- ١٥١

لما عاين موسى عليه السلام قومه يعبدون العجل بلغ به الغضبُ مبلغًا عظيمًا فأَلْقَى الْأَلْوَاحَ التي أنزلها الله تعالى عليه فَانْكَسَرَتْ، وأخذ بشعر أَخِيهِ بيده وأخذ بلحيته بيده الأخرى يجره إليه؛ لأنه توهم أنه أقرهم أو قصَّرَ في ردعهم؛ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي. قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾.[1]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخْبَرَ مُوسَى بِمَا صَنَعَ قَوْمُهُ فِي الْعِجْلِ، فَلَمْ يُلْقِ الْأَلْوَاحَ، فَلَمَّا عَايَنَ مَا صَنَعُوا، أَلْقَى الْأَلْوَاحَ فَانْكَسَرَتْ».[2]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ، وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ، سَمِعَ أَصْوَاتَهُمْ فَقَالَ: إِنِّي لَأَسْمَعُ أَصْوَاتَ قَوْمٍ لَاهِينَ. فَلَمَّا عَايَنَهُمْ وَقَدْ عَكَفُوا عَلَى الْعِجْلِ أَلْقَى الْأَلْوَاحَ فَكَسَرَهَا، وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ.

---

١ - سورة طه: الآية/ ٩٢- ٩٤

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٨٤٢، وابن حبان- كِتَابُ التَّارِيخِ، بَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ، ذِكْرُ السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَلْقَى مُوسَى الْأَلْوَاحَ، حديث رقم: ٦٢١٣، والحاكم في المستدرك- كِتَابُ التَّفْسِيرِ، تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَعْرَافِ، حديث رقم: ٣٢٥٠، والطبراني في الأوسط- حديث رقم: ٢٥، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾.

لما أخذ موسى عليه السلام بلحية هارون ورأسه، قال له هارون عليه السلام يستعطفه: ﴿ابْنَ أُمَّ﴾؛ وأصلها: (يَا بن أُمِّي) حُذِفَتْ يَاءُ النداء، وحُذِفَتْ يَاءُ الْإِضَافَةِ؛ لِأَنَّ مَبْنَى النِّدَاءِ عَلَى الْحَذْفِ، وَنُصِبَ كَمَا يُنْصَبُ الْمُعْرَبُ فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ، فَيُقَالُ: يَا حَسْرَتَا، يَا وَيْلَتَا.

وَقُرِأَ: (يَا ابْنَ أُمِّ) بِكَسْرِ الْمِيمِ مِنَ الْأُمِّ، على أنَّه مضافٌ إِلَى ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ، وحُذِفَتْ يَاءُ الْإِضَافَةِ.

وكان هارونُ عليه السلام أخاه لأبيه وأمّه، وإنما أضافه إلى الْأُمِّ، اسْتِعْطَافًا لَهُ؛ لأنه أَدْعَى إلى عطفِهِ ورقّتِهِ.

﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

أي: إِنَّ الْقَوْمَ رأوَنِي ضَعِيفًا فاسْتَذَلُّونِي، وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي لما رأوَنِي بينهم وحيدًا، ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾. أي: لَا تجعلهم يفرحون بما يصيبني منك من العقاب، وَالشَّمَاتَةُ: السُّرُورُ بِمَا يُصِيبُ الغيرَ مِنَ الْمَصَائِبِ.

﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

أي: أَيْ لَا تَجْعَلْنِي شَرِيكًا لَهُمْ فِي عُقُوبَتِكَ لَهُمْ عَلَى فِعْلِهِمْ، قَالَ مُجَاهِدٌ: يَعْنِي الذين عبدوا العجل.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

أي: قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي مَا أَقْدَمْتُ عَلَيْهِ مِنْ إلقاء الألواحِ وأخذي برأس أخي، واغْفِرْ لِأَخِي تَرْكَهُ التَّشْدِيدَ الْعَظِيمَ عَلَى عَبَدَةِ الْعِجْلِ، وأشملنا برَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٢) وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٥٢- ١٥٣

يخبر الله تعالى عمَّا ينتظرُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ إِلَهًا من العَذَابِ والنَّكَالِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، ومن ذلك أنهم سيحل عليهم غضب الله تعالى، وذلك أنَّ الله تعالى لَمْ يَقْبَلْ لَهُمْ تَوْبَةً، حَتَّى قَتَل بَعْضُهُمْ بَعْضًا؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾.[1]

ومن ذلك أنَّ اللهَ تعالى ضَرَبَ عليهم الذِّلَةَ والصغارَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بكفرهم بالله، وتمردهم على أوامره، وعصيانهم رسله عليه السلام؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾.[2]

وفي الكلام إيجاز بالحذف تقديره: إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ إِلَهًا وَمَعْبُودًا سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾.

أَيْ: وَكَمَا فَعَلْنَا بِهَؤُلَاءِ نَفْعَلُ بِالْمُفْتَرِينَ، قال العلماءُ: يعني: الْمُبْتَدِعِينَ.

قَرَأَ أَبُو قِلَابَةَ يَوْمًا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾. قَالَ: هِيَ وَاللَّهِ لِكُلِّ مُفْتَرٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: كُلُّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ ذَلِيلٌ.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٥٤

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ١١٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: مَا مِنْ مُبْتَدِعٍ إِلَّا وَتَجِدُ فَوْقَ رَأْسِهِ ذِلَّةً، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنَّهُمْ وَإِنْ طَفْطَفَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ، وَهَمْلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَاذِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَا يُفَارِقُ قُلُوبَهُمْ، أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ.

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾.

ثُمَّ أَرْشَدَ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ إِلَى التَوْبَةِ وأنه تعالى لا تعاظمه ذنبٌ وَلَوْ كَانَ كُفْرًا أَوْ شِرْكًا إذا تاب العبد منه، فقال: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا﴾، أَيْ: مِنْ بَعْدِ تِلْكَ السَّيِّئَاتِ، ﴿وَآمَنُوا﴾، أي: وكانوا من المؤمنين.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أي: فإن الله يقابلهم من بعد التوبة بعفوه وغفرانه، ويدخلهم في رحمته.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (١٥٤) وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٥٤، ١٥٥

أَيْ: وَلَمَّا سَكَنَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ. وَأَصْلُ السُّكُوتِ: السُّكُونُ وَالْإِمْسَاكُ والكَفُّ، والمعنى: وَلَمَّا سَكَنَ غَضَبُ مُوسَى وَهَدَأَتْ نَفْسُهُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ الَّتِي أَلْقَاهَا مِنْ شِدَّةِ الْغَضَبِ، وكانت قد تَكَسَّرَتْ حِينَ أَلْقَاهَا.

﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾.

قيل: أمر الله تعالى موسى أن يتخذا من الحجارة ينسخ فيها ما كان في الألواح التي تكسرت، فتضمنت تلك الألواح ما كان في الأولى من الهدى والرحمة.

﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾.

أي: للذين يخشون ربهم، ويخافون عقابه، ويخضعون لأمره تعالى، وعدِّي يَرْهَبُونَ بِاللَّامِ لأَنَّه ضَمَّنَ مَعْنَى الْخُضُوعِ.

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلا لِمِيقَاتِنَا﴾.

أي: واخْتَارَ مُوسَى سَبْعِينَ رَجُلًا من قَوْمِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِمْ لِيَعْتَذِرُوا إِلَى اللهِ تعالى مِنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَوَعْدَهُمْ مَوْعِدًا وَقَّتَهُ لهم.

﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾.

فَلَمَّا أَتَوْا ذَلِكَ الْمَكَانَ قَالُوا لِمُوسَى: يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً، فارتجف بهم الجبل وأخذتهم الصَّاعِقَةُ فَمَاتُوا جميعًا، فقال موسى معتذرًا لله تعالى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[١]

١ - سورة الْبَقَرَة: الآية/ ٥٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٥٥

قَالَ السُّدِّي: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ مُوسَى أَنْ يَأْتِيَهُ فِي نَاسٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَوَعَدَهُمْ مَوْعِدًا، فَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا عَلَى عَيْنِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِمْ لِيَعْتَذِرُوا. فَلَمَّا أَتَوْا ذَلِكَ الْمَكَانَ قَالُوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ يَا مُوسَى حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً، فَإِنَّكَ قَدْ كَلَّمْتَهُ، فأرناه. فأخذتهم الصَّاعِقَةُ فَمَاتُوا، فَقَامَ مُوسَى يَبْكِي وَيَدْعُو اللَّهَ وَيَقُولُ: رَبِّ، مَاذَا أَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا لَقِيتُهُمْ وَقَدْ أَهْلَكْتَ خِيَارَهُمْ؟ ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾.

هذا استفهام الغرض منه الاسترحام؛ أي: أنت أرحم من أن تهلكنا بما فعل السفهاء منا.

﴿إِنْ هِيَ إِلا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾.

أَيْ: مَا كانَ هَذَا الذي حَدَثَ إِلَّا اخْتِبَارُكَ أَضْلَلْتَ بِهِ قَوْمًا، وَعَصَمْتَ بِهِ قَوْمًا عَنْهَا فَثَبَتُوا عَلَى الْحَقِّ، فالأمرُ أمرُك، وَالحكمُ حكمك، والعبادُ عبادك، تَضِلُّ مَنْ تَشَاءُ، وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ، لا رادَّ لأمرك، ولا معقب لحكمك.

﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾.

أي: ليس لنا من يتولى أمورنا سواك، فلا غنى لنا عنك طرفة عين، فاستر عيوبنا، وتجاوز عن سيئاتنا، واعصمنا من الزلل، والغفر الستر، ومنه المغفر لأنه يستر صاحبه من الضربات حال القتال، وسؤال الرحمة مع طلب المغفرة يرادُ به العصمة من الذنب في المستقبل.

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾.

أَيْ: وَأَنتَ خَيرُ الراحمين وأكرمُ مَن صَفَحَ عَن جُرمٍ وَسَتَرَ عَلَى ذَنبٍ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٥٦

هَذَا الكَلامُ مِنْ دُعَاءِ مُوسَى عليه السلام الذي دَعَا به بعد الصَّاعِقَةِ التي أصابت من معه من بني إسرائيل.

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ﴾.

أَيْ: وفقنا لعمل صالح تتقبله منا وتثيبنا عليه، وأسبغ علينا من نعمك، ما يطيب به عيشنا، وَحَسَنَةُ الْآخِرَةِ الْجَنَّةُ؛ وهذه الآية كقوله تعالى حكاية عن المؤمنين: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.[1]

﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾.

أَيْ: إِنَّا تُبْنَا وَرَجَعْنَا إِلَيْكَ، وعدي ب (إلى) لتضمنه معنى رَجَعْنَا.

قال ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: هَادَ إِذَا رَجَعَ مِنْ خَيْرٍ إِلَى شَرٍّ أَوْ مِنْ شَرٍّ إِلَى خَيْرٍ

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّمَا سُمِّيَتِ الْيَهُودُ لِأَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾.

﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

أي: قَالَ اللهُ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْعُصَاةِ خاصةً، وَرَحْمَتِي فَقَدْ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْعَالَمِينَ، وهذه الآية كَقَوْلِهِ تعالى إِخْبَارًا عَنْ حَمَلة الْعَرْشِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾.[2]

---

١ – سورة الْبَقَرَة: الآية/ ٢٠٠

٢ – سورة غَافِرٍ: الآية/ ٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والمرادُ بها الرحمةُ العامةُ فِي الدُّنْيَا لِكُلِّ مَخْلُوقٍ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، ومن رحمته تعالى إنزال الكتب وإرسال الرسل، وإمهال العصاة، وقبول توبة التائبين، وأما الرحمة الخاصة فهي لِلْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً فِي الْآخِرَةِ.

﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾.

أَيْ: سَأَجْعَلُ رَحْمَتِي الخاصةَ لِلَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ وَيَخْشَوْنَ عِقَابَهُ ويجتنبون أسباب سخطه، يعني الشِّرْكَ وكبائرَ الذُّنُوبِ، ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾. خصَّ الزكاةَ بالذكر لشدة تعلق القلوب الأموالِ، وقِيلَ: المرادُ زَكَاةُ النُّفُوسِ لأنها مكية، والراجح أنها عامة تشمل تزكية النفوس والأموال.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

أي: وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بآيات الله المنزلة على رسله، وما فيها من وعد ووعيد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٥٧

هذه صفة محمد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التوراة والإنجيل وعهد الله تعالى لبني إسرائيل بالإيمان به إذا بعث وهم أحياء، وبيان شريعته الغراء، وملته الحنيفية السمحة، وما يجب على العباد عمومًا وبني إسرائيل خصوصًا من وجوب الإيمان به ونصرته، ومتابعته وتعظيمه، ومحبته فوق محبة النفس والأهل والمال.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾.

علق الله تعالى رحمته التي وسعت كل شيء والتي لا ينجو أحد يوم القيامة إلا بها على الإيمان خاتم الرسل محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وطاعته فيما أمر والانتهاء عما نهى عنه وزجر؛ لأن طاعته طاعة لله تعالى، ثم شرع الله تعالى في بيان صفاتهِ فجمع له وصف الرسالة والنبوة، حتى لا يلتبس أمره بأنبياء بني إسرائيل الذين يتبعون شريعة موسى عليه السلام.

والأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، قيل نسبة إلى أمه لأن نساء العرب ما كن يقرأن ولا يكتبن في الجاهلية.

وإنما وصفه الله تعالى بكونه أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، لنفي كل شبهة تثار عنه أنه تلقى علمًا عن أحد من الخلق، وهي صفة كمال في حقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾.

ثم أخبر الله تعالى أنه كتب اسم رسوله محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في التوراة والإنجيل ونعته بجملة من النعوت الظاهرة، ووصفه بصفات واضحة لئلا يشتبه بغيره، كما قال الله تعالى:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.[1]

وهذا الكلام في هذه الآية هو معنى الميثاق الذي أخذه الله تعالى على بني إسرائيل، كما أخذه على سائر النبيين أن يؤمنوا برسول الله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا بعث فيهم وأمرهم الله تعالى أن يأخذوا العهد والميثاق على أقوامهم بذلك؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.[2]

فعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَاةِ؟ قَالَ: "أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المَتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا".[3]

﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾.

وقد قامت الدلائل القاطعات، والبراهين الساطعات على معرفة علماء أهل الكتاب التامة برسول الإسلام محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باسمه وصفته وصفة أصحابه وأرض مبعثه؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [الْبَقَرَة: ١٤٦]، وإنما حال بين كثير منهم وبين الإيمان به الحسدُ، وعَمَى البصيرةِ، وإيثارُ الكفرِ على الإيمانِ؛ كَمَا

---

١ – سورة الصَّفّ: الآية/ ٦

٢ – سورة آل عمرَان: الآية/ ٨١

٣ – رواه البخاري– كِتَابُ التَّفْسِيرِ، سُورَةُ الْفَتْحِ، باب: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، حديث رقم: ٤٨٣٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الْبَقَرَة: ١٤٦]، أما مَنْ تجرَّدَ إيمانُهُ عن الأهواء وسلم من الحسد والأحقاد فيعلن إيمانه به، ويسارع في طاعته؛ كما كان من عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وكما كان من كثير من الأحبار والرهبان الذي اعتنقوا الإسلام، وألفوا الكتب في نصرته، وصدق رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ومتابعته؛ أمثال السموأل بن يحيى صاحب كتاب: (إفحام اليهود)، والقس أنسلم تورميد، صاحب كتاب: (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب)، وعلي بن ربن الطبري، صاحب كتاب الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم)، والقس إبراهيم خليل فيلوبس صاحب كتاب: (المستشرقون والمبشرون في العلالم العربي والإسلامي)، وكتاب: (محمد في التوراة والإنجيل والقرآن)، وغيرهم كثير ممن هداهم الله للإسلام.

﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

أي: يأمر هذا النبي أتباعه بالمعروف، وأعظم معروف توحيد الله تعالى، ويدخل فيه كل ما أمر الله تعالى به، وينهاهم عن المنكر وأعظم منكر الشرك بالله تعالى، ويدخل فيه كل ما نهى الله تعالى عنه.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾.

أي: ويحل لهم كل طيب مما حرمه أهل الجاهلية من البحيرة والوصيلة والسائبة والحام وغيرها، ويحرم عليهم كل خبيث مما كانوا يستحلونه من المآكل كالميتة والدم ولحم الخنزير وغيرها.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾.

أي: ومن صفات هذا الرسول النبي الأمي أنه جاء بالملة السمحة، والشريعة الميسرة، التي نسخت الأصار والأغلال التي كانت على السابقين لا سيما اليهود الذين حرم الله عليهم طيبات كانت أحلت لهم بظلمهم واعتدائهم.

والإِصرُ: العهدُ الثقيلُ الذي أخذ على الأمم السابقة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والإِصرُ يطلقُ فِي الْقُرْآن على وَجْهَيْن:

أَحدهمَا: الثّقل. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾.[1]

وَالثَّانِي: الْعَهْد. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٨١]، وكما في هذه الآية.

وَالْأَغْلَالُ: جمع غُلٍّ، وهو ما تُشَدُّ به يد الإنسان إلى عنقه، وكانَ على بني إسرائيل أَنَّ مَنْ قَتَلَ قُتِلَ بِهِ ولَا تُقْبَلُ منه دِيَةٌ، وَكَانَ عَلَيْهِمْ إِذا أصابَ شَيْءٌ من البَوْلِ جلودَهُم قرضوها بالمقاريض، وَكان عَلَيْهِم أَن لَا يَعْمَلُوا فِي السّبْتِ.

عَن أبي أُمامةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ بِالْيَهُودِيَّةِ وَلَا بِالنَّصْرَانِيَّةِ وَلَكِنِّي بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ».[2]

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

أي: فالذين آمنوا بهذا الرسول النبي الأمي ووقروه وعظموه، ونصروه حتى يبلغ دين الله تعالى، وقاتلوا معه أعداءه، واتبعوا القرآن الله أنزله الله تعالى عليه، فأولئك هم الفائزون المفلحون في الدنيا والآخرة.

---

١ – سورة الْبَقَرَة: الآية/ ٢٨٦

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢٢٢٩١، والطبراني في الكبير– حديث رقم: ٧٧١٥، بسند حسن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٥٨

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أخبر الله تعالى أنه كتب رحمته للذين يتبعون الرسول النبي الأمي، وأنه بشر به في التوراة والأنجيل أمر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يخبر الناس أن رسالته عامة للناس جميعًا، حتى لا يتوهم أحد أن رسالته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصة بأقوام دون غيرهم.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

أي: قُلْ يَا مُحَمَّدُ مخاطبًا الناس جميعًا على اختلاف أجناسهم، وتباين مللهم، العرب منهم والعجم، الأبيض منهم والأسود: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

وَتَأْكِيدُ ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِينَ بِوَصْفِ جَمِيعًا لدفع توهم لأن هذا العموم يراد به الخصوص، كما توهمت ذلك فرقة من اليهود اعتقدوا أن محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول للعرب خاصة.

وعموم رسالته من خصائصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ».[١]

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، حديث رقم: ٤٣٨، ومسلم- كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، حديث رقم: ٥٢١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.

يعني: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي يملكُ كلَ شيءٍ، فلا رادَّ لأمره ولا معقب لحكمه، ولا ينبغي أن يعبد سواه.

﴿لَا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾.

أي: لا معبود بحق سواه، فهُوَ الذي يُحْيِي وَيُمِيتُ.

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾.

أي: فآمنوا بالله الذي خلقكم وخلق كل شيءٍ، وآمنوا برسوله النبي الأمي الذي نعت لكم في الكتب وبشرت به الرسل، فإنه صادق في دعواه لأنه يؤمن بالله وكتبه المنزلة.

﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

واقتفوا أثره، واسلكوا سبيله، واقتدوا به لتهدوا إلى إلى سبيل ربكم الموصل إلى جنته.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩) وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٥٩، ١٦٠

يخبر الله تعالى عن بني إسرائيل، وأنهم ليسوا سواء في المسارعة في الكفر، والمخالفة والعصيان، بل منهم المؤمنون الصادقون؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ:١١٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.[١]

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾.

أَيْ: وَمِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَتْبَاعِ مُوسَى، جَمَاعَةٌ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الْهِدَايَةِ بِالْحَقِّ، وبِالْحَقِّ يعدِلُون في الحكم ولا يجورون، وَالْعَدْلُ هُو الْحُكْمُ بِالْحَقِّ، وهُم مَعَ ذلك قِلةٌ قليلةٌ في بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[٢]

وتقديم الجار والمجرور لبيان أنهم لا يحكمون بسوى الحقِّ.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾.

ولما ذكر الله تعالى حال بني إسرائيل، وإن منهم قومًا يَدْعُونَ إِلَى الْهِدَايَةِ بِالْحَقِّ، ويعدِلُون في الحكم بالْحَقِّ، شرع يعدد عليهم نعمه العظيمة، ويذكرهم بآلائه الجسيمة، ومنها أنه تعالى جعلهم اثْنَيْ عَشَرَ سِبطًا، وَمَيَّزَ بَعْضَهُم مِن بَعْضٍ، ليتنافسوا في الطاعات، ولئلا يكون بينهم تنازع، ويقوم عرفاؤهم بأمورهم.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ١٩٩

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ١١٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦١) وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٥٩، ١٦٢

يخبر الله تعالى عن لطفه ببني إسرائيل، وإحسانه إليهم من رقة إيمانهم، وقلة يقينهم بأنه تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام حين دخل بنو إسرائل التيه، واحتاجوا إلى الماء أن يضرب بعصاه الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينًا على عدد أسباط بني إسرائيل، والانبجاس خروج الماء بقلة في أول الأمر، ثم خرج بعد ذلك مندفعًا بقوةٍ؛ كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾.[1]

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾.

انبجست من الحجر اثنتا عشرةَ عينًا على عدد أسباط بني إسرائيل، وقد علم كل سبط عينهم التي خصصت لهم، لئلا يقع بينهم تنازعٌ.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى .....﴾.

تَقَدَّمَ الكلامُ عن تلك النِّعمِ التي أَنْعَمَ اللهُ بها عليهِم فِي سُورَةِ البقَرَة.

١ - سورة البقرة: الآية/ ٦٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٦٣

مناسبة الآيات لما قبلها:

ذكر الله تعالى هذه القصة هنا دلالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن هذه القصة لا ذكر لها في كتب اليهود، لكنها معروفة عند أحبارهم، يتناقلونها فيما بينهم، فلما أطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم عليها بتفاصيلها دل ذلك على صدق دعوته، وتأيده بالوحي من الله تعالى، لذلك افتتح الآيات بقوله: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ....﴾.

وأيضًا لما عدد الله تعالى نعمه على بني إسرائيل، وأخبر أن منهم ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾. [الْأَعْرَافِ: ١٥٩]، بيَّنَ هنا أن منهم فجارًا فسقةً، لا يراعون لله عهدًا، ولا يقدرونه حق قدره، استمرؤا العصيان، ودأبوا على المخالفة، ومنهم أصحاب السبت.

﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾.

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: وَاسْأَلْ يا محمد هؤلاء اليهود الذين يجاورونك سؤال تقرير وتقريع عَنِ تلك الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، عِكْرِمَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، والسُّدِّي: هِيَ قَرْيَةٌ يُقَالُ لَهَا "أَيْلَةُ" بَيْنَ مَدْيَنَ وَالطُّورِ.

وَقِيلَ: هِيَ مَدْيَنُ، وَقِيلَ: غير ذلك.

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾.

أَيْ: يَعْتَدُونَ فِي يومِ السَّبْتِ وَيُخَالِفُونَ أَمْرَ اللَّهِ فِيهِ، وكَانَ اللَّهُ حَرَّمَ عَلَيْهِمُ العملَ يومَ السَّبْتِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾.

أي: إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمُ الَّذِي نُهُوا فِيهِ عَنِ الْعَمَلِ ظَاهِرَةً عَلَى الْمَاءِ كظهورِ شراعِ المركبِ، ولا تأتيهم الحيتان بقيةَ الأيامِ ابتلاءً من الله تعالى ليعلم الله تعالى مَنْ يخافُهُ بالغيب.

﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

أي: كَذَلِكَ نَخْتَبِرُهُمْ بسببِ فِسْقِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، واعتدائهم على حُدُودِهِ، وانتهاكِهِم لحُرُماتِه تعالى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٦٤- ١٦٦

لما أخبر الله تعالى عن ابتلائه لتلك القرية بإرسال الحيتان ظاهرة على وجه الماء في اليوم الذي نهوا عن الصيد فيه، أخبر سبحانه عن حال الناس في ذلك الابتلاء وأنهم انقسموا أقسامًا ثلاثة: فرقة ارتكبت ما نهى الله تعالى عنه، فاصطادوا في السبت وفرقة قامت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتحذر عقاب الله تعالى، وفرقة ثالثة سكتت فلم يقعوا في المحظور فيمن وقع، ولم يأمروا بمعروف ولا نهوا عن منكر، بل قالوا لمن أنكر ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، أي: لم تنهون قومًا حقَّ عليهم عقاب الله تعالى، فلا ينتظرون إلا الهلاك أو العذاب الشديد؟

﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

أي: نعتذر إلى الله تعالى فقد أوجب علينا فيما شرع لنا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولعل هؤلاء العصاة يرتدعون بالوعظ والزجر فيتقون الله تعالى.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾.

أي: فلما ترك المعتدون الأخذ بالموعظة، وجعلوها وراءهم ظهريًّا، أنجَينَا الَّذِينَ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: فَلَمَّا نَسُوا مَوْعِظَةَ الْمُؤْمِنِينَ إِيَّاهُمْ.

﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

أَيْ: وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ارْتَكَبُوا الْمَعْصِيَةَ بِعَذَابٍ شَدِيدٍ أَلِيمٍ، بسببِ خُرُوجِهِم عن طاعةِ اللهِ تعالى وتَعدّيهِم حدُودَه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.

أَيْ: فَلَمَّا تَمَرَّدُوا فِيمَا نُهُوا عَنْهُ مِنَ اعْتِدَائِهِمْ فِي السَّبْتِ، وَاسْتِحْلَالِهِمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ أَيْ: بُعَدَاءَ مِنَ الْخَيْرِ، ذَلِيلِينَ مُهَانِينَ.

وَالْعُتُوُّ تَجَاوُزُ الْحَدِّ فِي الْكبر، يقال: عَتَا يَعْتُو عُتُوًّا. أَيِ: اسْتَكْبَرَ، وعدي بـ (عن) لِتَضْمِينِهِ مَعْنَى الْإِعْرَاضِ.

عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: جِئْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَوْمًا وَهُوَ يَبْكِي، وَإِذَا الْمُصْحَفُ فِي حِجْرِهِ، فَأَعْظَمْتُ أَنْ أَدْنُوَ، ثُمَّ لَمْ أَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تَقَدَّمْتُ فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ الْوَرَقَاتُ. قَالَ: وَإِذَا هُوَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ. قَالَ: "تَعْرِفُ أَيْلَةَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّهُ كَانَ حَيٌّ مِنْ يَهُودَ سِيقَتِ الْحِيتَانُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ السَّبْتِ ثُمَّ غَاصَتْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهَا حَتَّى يَغُوصُوا بَعْدَ كَدٍّ وَمُؤْنَةٍ شَدِيدَةٍ، كَانَتْ تَأْتِيهِمْ يَوْمَ السَّبْتِ شُرَّعًا بِيضًا سِمَانًا كَأَنَّهَا الْمَاخِضَ، تَنْتَطِحُ ظُهُورُهَا لِبُطُونِهَا بِأَفْنِيَتِهِمْ وَأَبْنِيَتِهِمْ. فَكَانُوا كَذَلِكَ بُرْهَةً مِنَ الدَّهْرِ، ثُمَّ إِنَّ الشَّيْطَانَ أَوْحَى إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: إِنَّمَا نُهِيتُمْ عَنْ أَكْلِهَا يَوْمَ السَّبْتِ، فَخُذُوهَا فِيهِ وَكُلُوهَا فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَيَّامِ، فَقَالَتْ ذَلِكَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: بَلْ نُهِيتُمْ عَنْ أَكْلِهَا وَأَخْذِهَا وَصَيْدِهَا فِي يَوْمِ السَّبْتِ. وَكَانُوا كَذَلِكَ حَتَّى جَاءَتِ الْجُمُعَةُ الْمُقْبِلَةُ، فَعَدَتْ طَائِفَةٌ بِأَنْفُسِهَا وَأَبْنَائِهَا وَنِسَائِهَا، وَاعْتَزَلَتْ طَائِفَةٌ ذَاتَ الْيَمِينِ وَتَنَحَّتْ، وَاعْتَزَلَتْ طَائِفَةٌ ذَاتَ الْيَسَارِ وَسَكَتَتْ، وَقَالَ الْأَيْمُنُونَ: اللَّهُ يَنْهَاكُمْ عَنْ أَنْ تَعْتَرِضُوا لِعُقُوبَةِ اللَّهِ، وَقَالَ الْأَيْسَرُونَ: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، قَالَ الْأَيْمُنُونَ: ﴿مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، أَيْ: يَنْتَهُونَ، فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَنْ لَا يُصَابُوا وَلَا يَهْلِكُوا، وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا فَمَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ. فَمَضَوْا عَلَى الْخَطِيئَةِ، فَقَالَ الْأَيْمُنُونَ: قَدْ فَعَلْتُمْ يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَا نُبَايِتُكُمُ اللَّيْلَةَ فِي مَدِينَتِكُمْ، وَاللَّهِ مَا نَرَاكُمْ تُصْبِحُونَ حَتَّى يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِخَسْفٍ أَوْ قَذْفٍ أَوْ بَعْضِ مَا عِنْدَهُ بِالْعَذَابِ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا ضَرَبُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ وَنَادَوْا، فَلَمْ يُجَابُوا، فَوَضَعُوا سُلَّمًا وَأَعْلَوْا سُورَ الْمَدِينَةِ رَجُلًا، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَيْ عِبَادَ اللَّهِ، قِرَدَةٌ وَاللَّهِ تَعَاوَى لَهَا أَذْنَابٌ، قَالَ: فَفَتَحُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِمْ، فَعَرَفَتِ الْقِرَدَةُ أَنْسَابَهَا مِنَ الْإِنْسِ، وَلَا تَعْرِفُ الْإِنْسُ أَنْسَابَهَا مِنَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْقِرَدَةِ، فَجَعَلَتِ الْقُرُودُ تَأْتِي نَسِيبَهَا مِنَ الْإِنْسِ، فَتَشُمُّ ثِيَابَهُ وَتَبْكِي، فَتَقُولُ لَهُمْ: أَلَمْ نَنْهَكُمْ عَنْ كَذَا؟ فَتَقُولُ بِرَأْسِهَا نَعَمْ. ثُمَّ قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ قَالَ: فَأَرَى الْيَهُودَ الَّذِينَ نَهَوْا قَدْ نَجَوْا، وَلَا أَرَى الْآخَرِينَ ذُكِرُوا، وَنَحْنُ نَرَى أَشْيَاءَ نُنْكِرُهَا، فَلَا نَقُولُ فِيهَا، قَالَ: قُلْتُ: أَيْ: جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ قَدْ كَرِهُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ وَخَالَفُوهُمْ وَقَالُوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ﴾ قَالَ: فَأُمِرَ بِي فَكُسِيتُ بُرْدَيْنِ غَلِيظَيْنِ".[1]

١ - تفسير الطبري (١٠/ ٥١٥)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٦٧

﴿تَأَذَّنَ﴾ تَفَعَّل مِنَ الْإِيذَانِ، وَهُوَ الْإِعْلَامُ الَّذِي يُبَلِّغُ فَيُدْرِكُ بِالْآذَانِ، يُقَالُ: تَأَذَّنَ وَآذَنَ مِثْلَ: تَوَعَّدَ وَأَوْعَدَ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَأَذَّنَ رَبُّكَ قَالَ رَبُّكَ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَمَرَ رَبُّكَ. وَقَالَ عَطَاءٌ: حَكَمَ رَبُّكَ، وأجرى مجرى فعل القسم، كعلم الله، وشهد الله. ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾.

﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾.

أيْ: لَيُرْسِلَنَّ وليُسَلِّطَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَفْرِضُ عَلَيْهِمْ سُوءَ الْعَذَابِ، وَيُوقِعُهُ بِهِمْ عِقَابًا لهُم عَلَى ظُلْمِهِمْ وَفِسْقِهِمْ، يُقَالُ: سَامَهُ خَسْفًا؛ أي: أَرَادَ به خَسْفًا.

والْبَعْثُ: الْإِرْسَالُ وَعُدِّيَ بِعَلَى لأنه ضُمِّنَ مَعْنَى التَّسْلِيطِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِبادًا لَنا﴾ [الْإِسْرَاء: ٥]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ﴾ [الْأَعْرَاف: ١٣٣]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ﴾.[١]

وَسُوءُ الْعَذَابِ مَا يَسُوءُ صَاحِبَهُ وَيُذِلُّهُ، وَالمرادُ بِهِ هُنَا سَلْبُ الْمِلْكِ، وَإِخْضَاعُ الْقَهْرِ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أي: عقابه واقع بهم لا محالة، غير متأخر عنهم، وهو مع ذلك عفور رحيم لمن تاب إليه وأناب.

١ - سورة مَرْيَمَ: الآية/ ٨٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٦٨) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٦٨، ١٦٩

يخبر الله تعالى أنه قضى على بني إسرائيل أن يتشتتوا ويتفرقوا في الأرض فرقًا وجماعات، فلا تجتمع لهم كلمة، ولا تكون لهم قوة، حتى يأتي وعد الآخرة بجمع شتاتهم، ليتحقق وعد الله بالقضاء عليهم؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾.[1]

﴿مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾.

أي: مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ البررةُ وَمِنْهُمْ الْفَاسِقُونَ الفجرة؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[2]

﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

أي: واختبرناهم بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، لعلهم يتوبون إلى الله تعالى.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾.

أي: فخلف من بعد هذا الجيل جيل آخر ورثوا التوراة ممن سبقهم وعلموا ما فيها من أحكام، ومع ذلك اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا وعرضًا زائلًا، تعجلوه عوضًا عن الأجر

---

١ - سورة الْإِسْرَاءِ: الآية/١٠٤

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ١١٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأخروي، وخالفوا أحكام الله تعالى فأسرفوا على أنفسهم في الآثام وهم يمنون أنفسهم بالمغفرة والرحمة على ما عندهم من الإعراض عن دين الله.

قال مُجَاهِدٌ: لَا يُشْرِفُ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا أَخَذُوهُ، حَلَالًا كَانَ أَوْ حَرَامًا، وَيَتَمَنَّوْنَ الْمَغْفِرَةَ.

﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾.

أي: كلما لاح لهم عرض دنيوي بادروا إليه وطمعوا فيه وأخذوه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦٩) وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٦٨- ١٧٠

قوله تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾، سؤال الغرض منه التقرير والتوبيخ؛ أي: ألم يؤخذ على هؤلاء الذين يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا العهود والمواثيق في التوراة ألا يكتموا ما أنزل الله تعالى، وألا يكذبوا على الله تعالى فِي الأَحكَامِ التِي يَحكمُونَ بها، وألا يقولوا على الله إلا الحق بادعاء المغفرة، وألا يشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا وعرضًا زائلًا.

﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾.

قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: عَلَّمُوهُ وَعَلِمُوا مَا فِي الْكِتَابِ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ وَقَرَأَ: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾.[1]

﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾.

أي: وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ اللهَ تعالى، ويخافون عقابه، من ذلك العرض الزائل الذي يستعجلونه في الدنيا.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

التفات من الغيبة للخطاب، مبالغة في التوبيخ، وقيل: هو خطاب لليهود المعاصرين للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأنهم المعنيون بالخطاب.

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾.

ولما بين الله تعالى حال الذين يشترون بآيات ثمنا قليلا، بين حال المتقين المعتصمين بكتاب الله تعالى. فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾؛ أي: والذين استمسكوا بعروة الكتاب الوثقى، واعتصموا بحبله المتين، فامتثلوا أوامره واجتنبوا زواجره.

---

١ - سورة آل عمران: الآية/ ٧٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويحتمل أن يكون المراد أنهم يعتصمون بالكتاب ويأمرون غيرهم بالاعتصام به، ويدل على ذلك قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾، والمصلح من صلح في نفسه وسعى في إصلاح غيره.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾، من باب عطف الخاص على العام فإن من لوازم الاستمسك بالكتاب إقامة الصلاة، وخصت بالذكر تنويها بفضلها.

﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾.

المصلحون هم الذين يمسكون بالكتاب، والتقدير: إنا لا نضيع أجرهم، ووضع الظاهر موضع المضمر لبيان أن علة حفظ الأجر هو إصلاحهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٧١

النَّتْقُ: هُو الْفَصْلُ وَالْقَلْعُ. وَالْجَبَلُ: الطُّورُ؛ كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ﴾ [النِّسَاءِ:١٥٤]، قال ابنُ عَبَّاسٍ: رَفَعَتْهُ الْمَلَائِكَةُ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ.

يقول الله تعالى لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: واذكر يا محمد إذا رفعنا فوقهم جبل الطور كأنه سحابة تظلهم، حتى غلب على ظنهم أنه واقع عليهم حين أعرضوا عن أمر الله تعالى، وأبوا أن يأخذوا بأحكام التوراة.

﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: وقلنا لهم: خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ، يعني: مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي التي فرضها الله عليكم في الكتابِ بِقُوَّةٍ وَعَزْمٍ عَلَى احْتِمَالِ ما فيها من التَكَالِيفِ والمشَاقِّ.

﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وَاذْكُرُوا مَا فِي كتابِ ربكم مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ بالعمل ولا تتركوه كالمنسيّ لتتقوا ربكم.

قَالَ الْحَسَنُ: فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَى الْجَبَلِ خَرَّ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ سَاجِدًا عَلَى حَاجِبِهِ الْأَيْسَرِ، يَنْظُرُ بِعَيْنِهِ الْيُمْنَى إِلَى الْجَبَلِ فوقه فَرَقًا مِنْ أَنْ يَسْقُطَ عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ لَا تَجِدُ يَهُودِيًّا إِلَّا وَيَكُونُ سُجُودُهُ عَلَى حَاجِبِهِ الْأَيْسَرِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٧٢- ١٧٤

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى أنه أخذ الميثاق على بني إسرائيل ألا يقولوا على الله إلا الحق، وأن يأخذوا ما آتاهم الله من الكتاب بقوة، ذكر تعالى ما أخذه الله تعالى بني آدم من الميثاق وهم في أصلاب آبائهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، فأذعنوا وأطاعوا وشهدوا لله تعالى بالواحدانية.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾.

أي: واذكر أيها الرسول حين أخذ الله الميثاق على بني آدم أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئًا، حين مسح ظهر آدم عليه السلام، واستخرج ذريتهم من أصلاب آبائهم، وأشهدهم على أنفسهم أنه تعالى ربهم الذي لا معبود بحق سواه، فأقروا بذلك، فأشهد الله عليهم ملائكته، لئلا يجحدوا ذلك الميثاق يوم القيامة، وميز بين أهل الجنة والنار.

روى الإمام أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يُقَالُ لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: نَعَمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ، قَدْ أَخَذْتُ عَلَيْكَ فِي ظَهْرِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ".[١]

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٢٢٨٩، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُشَرِّكَانِهِ» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ لَوْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ».[1]

وَعَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ الجُهَنِيِّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسْأَلُ عَنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ"، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَفِيمَ العَمَلُ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيُدْخِلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ، فَيُدْخِلَهُ اللَّهُ النَّارَ».[2]

وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، قَالَ: "جَمَعَهُمْ لَهُ يَوْمَئِذٍ جَمِيعًا مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَجَعَلَهُمْ أَرْوَاحًا، ثُمَّ صَوَّرَهُمْ، وَاسْتَنْطَقَهُمْ، فَتَكَلَّمُوا، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ، وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ، أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ، قَالَ:

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الْقَدَرِ، بَابٌ: اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ، حديث رقم: ٦٥٩٩، ومسلم-كِتَابُ الْقَدَرِ، بَابُ مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَأَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ، حديث رقم: ٢٦٥٨

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٣١١، وأبو داود- كِتَاب السُّنَّةِ، بَابٌ فِي الْقَدَرِ، حديث رقم: ٤٧٠٣، والترمذي- كِتَابُ التَّفْسِيرِ، تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَعْرَافِ، حديث رقم: ٣٢٥٦،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَإِنِّي أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ، وَأُشْهِدُ عَلَيْكُمْ أَبَاكُمْ آدَمَ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ نَعْلَمْ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، فَلَا تُشْرِكُوا بِي شَيْئًا، فَإِنِّي أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ رُسُلِي، يُذَكِّرُونَكُمْ عَهْدِي وَمِيثَاقِي، وَأُنْزِلُ عَلَيْكُمْ كُتُبِي، فَقَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ رَبُّنَا، وَإِلَهُنَا لَا رَبَّ لَنَا غَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ لَنَا غَيْرُكَ.[1]

لما أخذ الله تعالى الميثاق على بني آدم وأشهدهم على أنفسهم أنه تعالى ربهم الذي لا معبود بحق سواه، بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾. أقروا بذلك، والسؤال في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، للتقرير، لعلمه تعالى أنَّ منهم من سينكر ذلك ويعبد غير الله تعالى.

﴿شَهِدْنَا﴾.

قِيلَ: هُوَ خَبَرٌ عَنْ قولِ بَنِي آدَمَ أَشْهَدَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالُوا: بَلَى شَهِدْنَا.

وقَالَ السُّدِّيُّ: هُوَ خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ عَنْ نَفْسِهِ وَمَلَائِكَتِهِ أَنَّهُمْ شَهِدُوا عَلَى إِقْرَارِ بَنِي آدَمَ.

وعلى قول السدي يكون في الكلام حذفُ اختصارٍ تَقْدِيرُهُ: لَمَّا قَالَتِ الذُّرِّيَّةُ: بَلَى قَالَ اللَّهُ لِلْمَلَائِكَةِ: اشْهَدُوا، قالوا: شهدنا.

﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾.

أَنْ نافية؛ أي: لِئَلَّا تَقُولُوا، يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا الميثاقِ غافِلِينَ.

---

١ – رواه الحاكم– كِتَابُ التَّفْسِيرِ، تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَعْرَافِ، حديث رقم: ٣٢٥٥، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي هذا الميثاق ميَّزَ اللهُ تعال أهلَ الجنة وأهلَ النار؛ فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَتَادَةَ السُّلَمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ، ثُمَّ أَخَذَ الْخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ، فقَالَ: هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أُبَالِي»، قَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَلَى مَاذَا نَعْمَلُ؟، قَالَ: «عَلَى مَوَاقِعِ الْقَدَرِ».[1]

﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾.

أي: ولئلا تقولوا إنما أشرك أباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فنشأنا على دينهم، وشأن الذرية الاقتداء بالآباء، واقتفاء آثارهم.

﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

استفهام الغرض منه الإنكار؛ أي: أفتعذبنا بما فعله السابقون الذين أخذوا بالباطل، والمراد بالهلاك هنا العذاب في النار.

﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

أي: ومثل هذا التفصيل نبين آيات القرآن ونوضح ما فيها من الدلائل والبراهين على وحدانية الله تعالى ليرجعوا عن غيهم ولا يشركوا بربهم.

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٧٦٦٠، وابن حبان- كِتَابُ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الطَّاعَاتِ وَثَوَابِهَا، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ أَرَادَ بِهِ مُيَسَّرٌ لِمَا قُدِّرَ لَهُ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، حديث رقم: ٣٣٨، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٧٥- ١٧٧

مناسبة لأيات لما قبلها:

لما أخبر الله تعالى أنه أخذ العهد والميثاق على العباد بتوحيده والإيمان به، ذكر تعالى هنا مثلًا لمن لم ينتفع بذلك العهد، مع ما آتاه الله تعالى من العلم بآياته، والدلائل الواضحات على ألوهيته، وصدق رسله عليهم السلام، فلم يقم لتلك الآيات وزنًا، وأعرض عنها، وانسلخ منها انسلاخ الحية من جلدها، حتى لم يبق له بها تعلق، ولم ينتفع منها بشيء.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾.

يقول الله تعالى لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: واتل على هؤلاء اليهود نبأ ذلك الذي آتاه الله تعالى علم الكتاب، وأعطاه من الدلائل ما يرفعه عن حال الطغام، فانسلخ من الآيات انسلاخ الحية من جلدها، وكفر بالله تعالى، ونبذ آيات الله تعالى وراءه ظهريًّا، وأعرض عنها إعراض الزاهد فيها الراغب عنها.

وقد تكلف البعض في البحث عن كنه هذا الذي ذكر الله تعالى قصته، وهو من مبهمات القرآن، ولم يرد له ذكر في السنة، وما أبهمه الله تعالى فلا فائدة في تعيينه.

وما ذكر من تعيين اسمه فمأخوذ من كتب أهل الكتاب، فَقَالَ ابنُ مَسْعُودٍ وَابنُ عَبَّاسٍ: هُوَ بَلْعَامُ بنُ بَاعُورَاءَ، وقيل: بَلْعَمُ بْنُ بَاعِرَ، وقيل: هُوَ صَيْفِيُّ بْنُ الرَّاهِبِ، وقيل غير ذلك، وتكلف معرفة ما أبهم من الأسماء ينسي الغاية التي من أجلها سيقت القصة.

والنبأ هو الخبر العظيم، والانسلاخ: خروج الحيوان من جلده.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والقول بأنه كان رسولًا أو نبيًّا قول مردود، فإن الأنبياء عليهم السلام معصومون، وهذاالقول فيه قدح في حكمة الله تعالى، وقد قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.[1]

﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.

أي: فلما انسلخ من آيات الله تعالى لحقه الشيطان فاستحوذ عليه حتى أضله وجعله من الفاسدين المفسدين.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾.

أي: ولو أردنا هدايته لرفعناه بتلك الآيات إلى درجات الكمال، ولكن لم نرد ذلك، وتلك الإرادة هي الإرادة الكونية، كما قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]، ولكنه أبى إلا الاتضاع وآثر الضلال على الهدى، والدنيا على الآخرة، إرضاءً لشهوات نفسه، ورغباتها.

---

١ - سورة آل عمران: الآية/ ٧٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾.

اللَّهَثُ: سُرْعَةُ التَّنَفُّسِ مَعَ امْتِدَادِ اللِّسَانِ لِضِيقِ النَّفَسِ.

يخبر الله تعالى عن حال الذي انسلخ من آيات الله بعد أن آتاه الله إياها في إقامته على الضلال، وعدم انتفاعه بالوعظ والإرشاد بالكلب الذي يلهث إذا طارده أحد ويلهث إذا تُرك في دعة.

﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾.

أي: ذلك المثل الذي ذكر للكلب وحاله في اللهث في كل حين هو مثل المشركين المكذبين بآيات الله تعالى، المشتملة على الحجج والبراهين الدالة على وحدانيته تعالى، وحالهم كحال الكلب فهم لا يؤمنون على كل حال، فإذا دعوا إلى الإيمان أعرضوا واستكبروا، وإذا تركوا أقاموا على كفرهم واستمروا في ضلالهم، فهم في الخسة والضعة والشقاء والعناء كالكلب الذي يلهث على كل حال.

﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

أي: فَاقصُص يَا مُحَمَّدُ عليهم هَذَا القَصَصَ، الَّذِي قَصَصْتُهُ عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا، ومن قصصِ الأممِ الغابرةِ لَعَلَّهُمْ يَتَدبَرُونَ كلام الله تعالى، ويعتبرون بما في القصصِ من العبرِ، فيثوبوا إلى رشدهم، ويرجعوا عن غيهم.

﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾.

في الكلام إيجازٌ بالحذف تقديره: سَاءَ مَثَلًا مثلُ القَومُ، حُذِفَ الْمَثَلُ وَأُقِيمَ الْقَوْمُ مَقَامَ الْمَثَلِ، لظهور المعنى، وأمن اللبس.

أي: سَاءَ مَثَلًا مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، حيثُ شُبِّهُوا بِالْكِلَابِ في دوامِ عنائِها وطول شقائها، وخسةِ نفوسِهَا، والكلب يضرب به المثل في ذلك؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوْءِ، الَّذِي يَعُودُ فِي هِبَتِهِ كَالكَلْبِ يَرْجِعُ فِي قَيْئِهِ».[1]

﴿وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

تَقْدِيمُ الْمَفْعُولِ، فَهُوَ لِلِاخْتِصَاصِ؛ أي: وَمَا ظَلَمُوا إِلَّا أَنْفُسَهُمْ بِالتَّكْذِيبِ؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.[2]

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الْهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا، بَابٌ: لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَرْجِعَ فِي هِبَتِهِ وَصَدَقَتِهِ، حديث رقم: ٢٦٢٢

٢ - سورة البقرة: الآية/ ٥٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٧٨

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أمر الله تعالى رسوله صلَّى الله عليهِ وسلم أن يقُصَّ على اليهودِ والمشركين نبأ الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها واتبع هواه، بين تعالى هنا أن المعصوم من عصمه الله، وأن الهدى والضلال بيد الله تعالى وحده، يهدي من يشاء ويعافي ويعصم فضلًا، ويضل من يشاء ويبتلي عدلًا، والمهتدي حقًّا من هداه الله تعالى، هداية توفيق، ومن يضللُ اللهُ فأولئك أعظ الناس خسرانًا.

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾.

أي: من وفقه الله تعالى للهداية فهو المهتدي حقًا، الفائز بالسعادة الأبدية، وتقديم الضمير لقصر الحكم على من هذه صفته؛ أي: فلا مهتدي على الحقيقة سواه.

﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

أي: ومن يضلل فلا أعظم منه خسرانًا.

وَفِي الْآيَةِ مِنْ الأساليبِ البلاغيةِ الِاحْتِبَاكُ، وَهُوَ حَذْفُ الْفَوْزِ مِنَ الْجُمْلَةِ الْأَوْلَى المقابل للخُسرَانِ فِي الجُملَةِ الثَّانِيَةِ، وَحَذْفُ الضَّالِّ مِنَ الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ المقَابِلِ للمُهتَدِي فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى.

وَإِفرَادُ الْمُهْتَدِي فِي الأُولَى مراعاةً للفظ: (مَنْ)، وجمع الخاسرين في الثانية مراعاةً للمعنى.

والحكمة في إفراد الْمُهْتَدِي أن طريق الهدى واحد وهو الصراط المستقيم، وجمع الخاسرين؛ لأن طرق الضلال كثيرة متشعبة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٧٩

مُنَاسَبَةُ الآيةُ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ الْهَادِي وَهُوَ الْمُضِلُّ أَعْقَبَهُ بِذِكْرِ مَنْ خُلِقَ لِلْخُسْرَانِ وَالنَّارِ وَذَكَرَ أَوْصَافَهُمْ فِيمَا ذَكَرَ وَفِي ضِمْنِهِ وَعِيدُ الْكُفَّارِ.[١]

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾.

ذَرَأْنَا: أصلها خَلَقْنَا، والفرق بين الذرء والخلق: أن أصل الذرء الاظهار ومعنى ذرأ الله الخلق أظهرهم بالإيجاد بعد العدم، ومنه في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾.[٢]

أَيْ: وَلَقَدْ خَلَقْنَا وَجَعَلْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ يَعْمَلُونَ بِعَمَلِ أَهْلِهَا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِنَفَاذِ عِلْمِهِ فِيهِمْ بِأَنَّهُمْ يَصِيرُونَ إِلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ.

وتقدم قوله: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ».[٣]

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾.

أي: لا ينتفعون بشيء منها، وذكر القلوب والأعين والآذان؛ لأنها آلات الإدراك، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ

---

١ – البحر المحيط في التفسير (٥/ ٢٢٧)

٢ – سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٣٦

٣ – رواه أحمد– حديث رقم: ٣١١، وأبو داود– كِتَاب السُّنَّةِ، بَابٌ فِي الْقَدَرِ، حديث رقم: ٤٧٠٣، والترمذي– كِتَابُ التَّفْسِيرِ، تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَعْرَافِ، حديث رقم: ٣٢٥٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النَّحلِ: ٧٨]، وهي سببُ الهداية؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.[1]

﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

كالأنعام لأنهم لا يميزون بين الحق والباطل، ولا يفرقون بين المعروف والمنكر، ولا يفقهون ما يقال لهم، ولا يسمعون آيات الله سماعًا ينتفعون به، ولا يبصرون آيات الله المبثوثة في الكون الدالة على وحدانيته تعالى.

١ - سورة الْأَحْقَافِ: الآية/ ٢٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٨٠

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى حال أهل النار وأنهم كالأنعام لشدة غفلتهم، وعدم انتفاعهم بما آتاهم الله تعالى من وسائل الإدراك، فلم يعرفوا الخالق تبارك وتعالى، أمر الله تعالى أهل الإيمان بالإعراض عن سبيلهم، وتجنب غفلتهم بمعرفة صفات ربهم، والإقبال على ذكره، ودعائه بأسماء الحسني.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.

الحسنَى مُؤنَّثُ الأَحسَنِ؛ لأنها تدل على معانٍ حسنةٍ من تمجيد وتقديس

وتقديم الجار والمجرور للحصر والاختصاص، فهذه الأسماء الحسنى لا تنبغي إلا لله تعالى، والأسماء جمع اسم وهو اللفظ الدال على معنى في نفسه.

وأسماء الله تعالى لا يحصيها إلا هو؛ لما ثبت عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي».[1]

وأما ما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ». [رواه البخاري ومسلم]، فكما يقول أحدهم: عندي مائة درهم جعلتها للصدقة فلا ينفي ذلك أن يكون عنده غيرها.

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٣٧١٢، وابن حبان- كِتَابُ الرَّقَائِقِ، بَابُ الْأَدْعِيَةِ، ذِكْرُ الْأَمْرِ لِمَنْ أَصَابَهُ حُزْنٌ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ ذَهَابَهُ عَنْهُ وَإِبْدَالَهُ إِيَّاهُ فَرَحًا، حديث رقم: ٩٧٢، والحاكم- كِتَابُ الدُّعَاءِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ، حديث رقم: ١٨٧٧، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

أي: فادعوا الله بهذه الأسماء، وقد روى الإمام الترمذي في سننه حديثًا فيه سرد لتسعة وتسعين اسمًا بعضها متفق عليه وبعضها مختلف فيه، وفي سنده مقال.

﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾.

أَيْ: اتركوهم ولَا تَهتمُّوا بإلحادِهِم وَلَا تَحزنُوا مما يقولونه، فسوف يرون مغبة كفرهم.

وَالْإِلْحَادُ: هو الْمَيْلُ عَنْ وَسَطِ الشَّيْءِ إِلَى جَانِبِهِ، وَيدخل فِي الْإِلْحَادِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ إلحاد المشركين الذين عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه وسموا بها أوثانهم، فاشتقوا اللات من الإله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان، وإلحاد المشبهة الذين سووا المخلوق بالخالق تعالى، وإلحاد النفاة المعطلة، الذين أثبتوا أسماء الله تعالى ونفوا عنه ما تضمنته من صفات الكمال، فقالوا عليم بلا علم، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، والذين صرحوا بنفي الأسماء الحسني ابتداءً.

﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

تهديدٌ ووعيدٌ لأولئك الذي يلحدون في أسماء لكفرهم بالله تعالى وتكذيبهم لرسوله صلى الله عليه وسلم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٨١) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٨١- ١٨٣

مناسبة الآيات لما قبلها:

قال الفخر الرازي: اعلم أنه تعالى لما قال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، فَأَخْبَرَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الثَّقَلَيْنِ مَخْلُوقُونَ لِلنَّارِ أَتْبَعَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾، لِيُبَيِّنَ أَيْضًا أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَخْلُوقُونَ لِلْجَنَّةِ.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾.

أي: ومن الأمم التي خلقناها خلقنا أمة قائمة بالحق يدعون له العباد، ويرشدونهم إليه، ويقضون بينهم به، إشارة إلى هذه الأمة المحمدية.

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «هَذِهِ أُمَّتِي» قَالَ: وَبِالْحَقِّ يَأْخُذُونَ وَيُعْطُونَ وَيَقْضُونَ.[1]

وروى ابن جرير عَنْ قَتَادَةَ أنه قالَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: بَلَغَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: "هَذِهِ لَكُمْ، وَقَدْ أُعْطِي الْقَوْمُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ مِثْلَهَا: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾".[2]

ومما يدل على أن المراد بهذه الآية أمة محمد صلى الله عليه وسلم ما ثبت عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، أَنَّ عُمَيْرَ بْنَ هَانِئٍ، حَدَّثَهُ، قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ، عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: سَمِعْتُ

---

١ - تفسير الطبري (١٠/ ٦٠٠)

٢ - سورة الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٥٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ».[1]

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

الاستدراج: مشتق من الدَّرَجةِ، وهي ما يرتقي منها إلى ما بعدها، وأصله الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة؛ سنأخذهم بالتدريج درجة درجة، مكرًا بهم حتى يغتروا ثم نأخذهم على حين غرة؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾.[2]

قالَ الضَّحَّاكُ: كُلَّمَا جَدَّدُوا لَنَا مَعْصِيَةً جَدَّدْنَا لَهُمْ نِعْمَةً.

وقيل: نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾.

أي: وأمهلهم وَأُؤَخِّرُ أَخْذَهُم إمعانًا في الكيد لهم والمكر بهم ليزدادوا طغيانًا.

﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.

أَيْ: إِنَّ مَكْرِي قَوِيٌّ شَدِيدٌ؛ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾. [هود: ١٠٢].[3]

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ الْمَنَاقِبِ، بَابٌ، حديث رقم: ٣٦٤١، ومسلم– كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ"، حديث رقم: ١٠٣٧

٢ – سورة الْأَنْعَامِ: الآية/ ٤٤

٣ – رواه البخاري–كِتَابُ التَّفْسِيرِ، سُورَةُ هُودٍ، باب: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾، حديث رقم: ٤٦٨٦، ومسلم–كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم: ٢٥٨٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٨٤

سبب نزول الآية:

روى ابن جرير عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلَى الصَّفَا، فَدَعَا قُرَيْشًا، فَجَعَلَ يُفَخِّذُهُمْ فَخْذًا فَخْذًا: "يَا بَنِي فُلَانٍ يَا بَنِي فُلَانٍ، فَحَذَّرَهُمْ بَأْسَ اللَّهِ، وَوَقَائِعَ اللَّهِ، فَقَالَ قَائِلُهُمْ: إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا لِمَجْنُونٌ بَاتَ يُصَوِّتُ إِلَى الصَّبَّاحِ، أَوْ حَتَّى أَصْبَحَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾. يقول الله تعالى لمن كفر بآياته وألحد في أسمائه، وكذب رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم: أولم يتفكر هؤلاء فيما يصفون به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوصاف لينفروا الناس عن دعوته، ومن ذلك قولهم عنه: مجنون؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نزلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾.[١]

والسؤال هنا تقريع وتوبيخ لهم، لعدم إعمالهم الفكر فيما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعجيب من شأنهم، حيث تركوا ما يعلمونه عنه من كمال العقل، والاتصاف بالصدق والأمانة، ورميه بما يعلمونه أنه منه براء.

وَفِي الكلام حذف اختصار تقْدِيرُه: أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فَيَعْلَمُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ جِنَّةٍ﴾؛ مبالغة في نفي هذا الوصف عنه صلى الله عليه وسلم، كأنه قال: بل هو أعقل الناس، وأرفعهم رتبة في الفهم والإدراك.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

(إِنْ) نافية؛ أي: مَا هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ أمره بيِّنٌ لكل من له أدنى مسكة من عقل، جاء ينذركم عقاب الله تعالى، إذا تماديتم في غيكم، وأقمتم على كفركم.

---

١ - سورة الْحِجْرِ: الآية/ ٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٨٥

لما حض الله تعالى المشركين المكذبين على التفكر في حال الرسول صلى الله عليه وسلم، ترقى الخطاب إلى الحض على النظر في الآيات الكونية، الدالة على وحدانية الله تعالى، وكمال قدرته فقال تعالى عن أولئك المشركين المكذبين أولم ينظروا في آيات الله الكونية الدالة على قدرة الله الباهرة، وحكمته البالغة، وملكوت السماوات والأرض الدال عظمة الخالق تبارك وتعالى، وعظيم سلطانه، وتلك المخلوقات التي لا يحصيها العد، ولا يأتي عليه الحصر، وما فيها من دلائل قدرته، فيتعبروا بذلك، ويعلموا أنه لا تنبغي العبادة إلا له تعالى؟

والسؤال للإنكار والتوبيخ، والتعجيب من إعراضهم عن التفكر في تلك الآيات الكونية العظيمة، التي تشهد لله بالوحدانية، والحكمة البالغة والقدرة العظيمة.

وعدي الفعل ينظر بـ (في) لتضمنه معنى التدبر؛ أي: أفلم ينظروا متدبرين في ملكوت السماوات والأرض، وملكوت صيغة مبالغة من الملك، ومعناه الملك العظيم.

﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾.

أي: وينظروا إلى ما خلق الله فيهما من شيء دق أو عظم ليستدلوا بذلك على وحدانيته تعالى.

﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾.

أي: ولعله أن يكون قد أقترب أجلهم فيموتوا على كفرهم ويصيروا إلى عذاب دائم لا ينقطع، وفيه تهديد ووعيد بالعذاب لمن مات على كفره.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.

أي: فإن لم يصدقوا بهذا الحديث، وإن لم يؤمنوا بكل تلك الدلائل والبراهين فبأي حديث بعده يؤمنون، والسؤال للإنكار والتوبيخ والتهديد والوعيد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٨٦

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أخبر الله تعالى عن إعراض المشركين عن التفكر في دلائل صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن التفكر في ملكوت السماوات والأرض بين تعالى علة ذلك وهي أن الله تعالى أضلهم ومن أضله الله فلا هادي له، ولو هداهم الله لتدبروا وأبصروا رشدهم.

﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾.

أي: من حكم الله تعالى بضلاله فلا سبيل لأحد إلى هدايته، ولو جاءته كل آية؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يُونُسَ: ٩٦، ٩٧]؛ وقال تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يُونُسَ:١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نزلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.[1]

﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

أي: ويتركهم الله تعالى في عتوهم وتمردهم يترددون، وقيل: ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتحيرون، إلى أجلهم الذي أجله الله لهم.

١ - سورة الْأَنْعَامِ: الآية/ ١١١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٨٧

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أخبر الله تعالى عنهم أنهم لا يتفكرون في خلق السماوات ولا يتدبرون آيات الله تعالى، بين تعالى هنا شيئًا من ضلالهم، فأخبر أنهم كانوا يسخرون بالرسول صلى الله عليه وسلم إذا ذكرهم بالقيامة والبعث والنشور والجزاء؛ لأنهم كانوا دهريين كما قال الله تعالى عنهم؛ ﴿وَقالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا وَما يُهْلِكُنا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، فسؤالهم سؤال سخرية واستهزاء، لا سؤال تعلم واسترشاد.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾.

أي: يسألونك يا محمد صلى الله عليه وسلم عن الساعة متى وقت وقوعها، استهزاء منهم بالحديث عنها، واستبعادًا لوقوعها، واستعجالًا للعذاب، وأيان اسم للسؤال عن الزمان مركب من: (أي) الاستفهامية و (آن) يعني: أي زمان؛ قَالَ الرَّاجِزُ:

أَيَّانَ تَقْضِـــــي حَـــــاجَتِي أَيَّانَا **** أَمَـــا تَـــرَى لِنَجْحِهَـــا أَوَانَا

ومُرْسَاهَا يعني مستقرها والإرساء هو الاستقرار بعد السير.

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾.

أي: علم الساعة ومتى يكون وقوعها لا علم لأحد من الخلق به، و(إنما) تفيد القصر، فإن هذا مما استأثر الله تعالى بعلمه، ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: لا يظهرها لوقتها إلا هو سبحانه وتعالى، يقال: فلان جلا الأمر؛ أي أظهره.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾.

أي: خفيت في السماوات والأرض فلا يعلم وقت قيامها ملك مقرب ولا نبي مرسل، لا تأتيكم إلا فجأة.

﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾.

أَي: كَأَنَّكَ أَكثَرتَ السُّؤالَ عَنهَا وَبَالَغتَ فِي طَلَبِ عِلمِهَا؛ يقال: أحفى في المسألة أي: بالغ فيها، واستقصى.

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾.

لما كان السُّؤال الأَوَّل عَن وَقتِ قِيَامِ السَّاعَةِ، أجاب بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾، وَلما كان السُّؤَالُ الثَّانِي عَنْ مِقْدَارِ شِدَّتِهَا وعِظَمِ شأنِها، قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾، لما لاسم الله تعالى من المهابَةِ وَالعَظَمَةِ والجلالِ.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

أي: وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمُونَ أن علم الساعة مما استأثر الله بعلمه، بَل يَحسَبُونَ أَنَّ عِلمَ الساعةِ يُوجَدُ عِندَ بَعضِ الخَلقِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٨٨

لما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعلن للناس أن علم الساعة مما استأثر الله تعالى به بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الْأَعْرَافِ: ١٨٧]، أمره الله تعالى هنا أن يعلن أنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا فضلا عن أن يملك لغيره النفع والضرَّ، وأنه صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب وليس ذلك من خصائص الرسالة ولا من صفات الرسول، بل هذا من صفات الله تعالى، فيكون في الكلام ترقٍ من الأدنى إلى لأعلى.

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يسألونك عن الساعة: متى وقوعها؟ قل: أنا عبد لله تعالى ﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾، لا أملك لنفسي جلب نفع، ولا دفع ضرٍّ، إلا ما شاء الله أن يطلعني عليه، فكيف أن أعلم متى الساعة؟ كما قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الْجِنّ:٢٦، ٢٧]، وعلى هذا فالاستثناء متصلٌ.

وقيل: الاستثناء منقطع. أي: لكن ما شاء الله تعالى من ذلك فهو كائن لا محالة.

وقدم النفع لأن النفس على جلب الخير أحرص منها على دفع الضر.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾.

أي: ولا أدعي علم الغيب، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير والمنافع المادية التي يرغب فيها الناس ويحرصون عليه، وما مسني السوء لأخذ الحيطة، والحذر مما يقع في المستقبل.

﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

(إنْ) نافية؛ أي: وما أنا إلا عبد أرسله الله تعالى لأنذر العباد سخطه تعالى وعذابه إذا عصوه عبدوا غيره، وأبشرهم برضوانه وتعالى وجنته إذا أطاعوه وعبدوه وحده، وخصَّ المؤمنين بالذكر مع أنهم نذير وبشير للعالمين؛ لأنهم هم الذين ينتفعونه بإنذاره وتبشيره.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٨٩

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما أمر الله تعالى المؤمنين بتوحيده ودعائه بأسمائه الحسنى والإعراض عن المشركين الذين يلحدون في أسمائه، بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الْأَعْرَافِ: ١٨٠]، بين تبارك وتعالى نشأة الشرك بالله، بين الناس وكيف تبدلت فطرتهم التي فطرهم الله تعالى عليها؛ فقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ....﴾.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾.

يخبر الله تعالى أن من دلائل قدرته أنه خلق الناس من جنس واحد، وجعل لها زوجًا من جنسها فصارا زوجين ذكر وأنثى، ليأنس كل زوج بالآخر، ويطمئن إليه، ويذهب عنه اضطرابه وقلقه بالاقتران به.

﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ﴾.

كنايةٌ عن الجماعِ، والغِشَاء غِطَاءُ الشَّيءِ الذي يَسترُهُ مِن فوقه، ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾، المرادُ بالْحَمْلِ هنا: مَاءُ الرَّجُلِ يكونُ خَفِيفٌ عَلَيهَا في أول الأمرِ، ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ أي: فاسْتَمَرَّتْ بِالْمَاءِ: قَامَتْ بِهِ وَقَعَدَتْ، حتى أَتَمَّتِ الْحَمْلَ.

قيل: كُلُّ مَا كَانَ فِي بَطْنٍ أَوْ عَلَى رَأْسِ شَجَرَةٍ فَهُوَ حَمْلٌ بِالْفَتْحِ. وَإِذَا كَانَ عَلَى ظَهْرٍ أَوْ عَلَى رَأْسٍ فَهُوَ حِمْلٌ بِالْكَسْرِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

أي: فلما صار الحمل في بطنها ثقيلًا ودنت ولادتها، دعا الزوجان ربهما تعالى أن يتم عليهما النعمة، وأن يكون المولود سويًّا معافى من كل بلاء، وأقسما بالله تعالى على القيام بشكره تعالى إن تم لهما ذلك، واللام في قوله: لنكونن هي اللام الموطئة للقسم.

تنبيه:

درج كثير من المفسرين على أن الكلام في هذه الآيات عن آدم وحواء عليهما السلام، وهو كلام لا يصح شرعًا ولا عقلًا، ومعاذ الله أن يشرك آدم عليه السلام وهو نبي، خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء، بل الكلام عن كل زوجين ممن لا يؤمنون بالله تعالى، إذا أنعم الله تعالى عليهما بنعمة الولد جعلا لله تعالى شركاء فيما آتاهما قربا القرابين لغير الله، وكفرا بنعمة الله تعالى التي أنعم الله تعالى بها عليهما.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٩٠

تقدم أن الكلام في هذه الآيات تمثيل لحال المشركين لفساد عقولهم وشدة جهلهم، حيث كانوا ينذرون أبناءهم لخدمة أوثانهم، ويجعلونهم سدنة لها، وينسبونهم إليها؛ كعبد العزى، وعبد مناف، وعبد اللات، وعبد قُصي.

﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾.

أي: فلما آتاهما الله تعالى ولدًا سالِمًا، معافى من الآفات والأدواء والعاهات، جعل الزوجان لله تعالى شركاء فيما آتاهما فقربا القرابين لتلك الأوثان، ونسبوا إليها الولد نسبة عبودية.

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

فتنزه الله تعالى عن هذا الشرك، لوحدانيته تعالى وكمال غناه عن خلقه، ولما في الشرك من السَّبِّ لله تعالى؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُؤًا أَحَدٌ".[١]

وأما ما رواه الترمذي عَنْ سَمُرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "لَمَّا حَمَلَتْ حَوَّاءُ طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ وَكَانَ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ، فَقَالَ: سَمِّيهِ عَبْدَ الحَارِثِ، فَسَمَّتْهُ عَبْدَ الحَارِثِ، فَعَاشَ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ". فلا يصح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ التَّفْسِيرِ، سُورَةُ الْبَقَرَةِ، بَابٌ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾، حديث رقم: ٤٤٨٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقوله تعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، بصيغة الجمع دليل على أن المراد بذلك جنس المشركين على اختلاف مللهم وتباين نحلهم، وليس آدم وحواء، ولو كان المراد آدم وحواء لقال عمَّا يشركان.

وأما قول بعض المفسرين: كَانَ شركًا في التسمية والصفة، لا في العبادة وَالرُّبوبيَّةِ، فكلام لا يصح لقوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ولأن آدم عليه السلام الذي خلقه الله تعالى بيده، وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء، أجل من أن يشرك بالله تعالى، وأكرم من أن يخدعه إبليس مرتين، وعلمه بأسماء كل شيء دليل على أنه لا يخفى عليه أن الحارث اسم أبليس.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٢) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٩١- ١٩٣

هذا سؤال الغرض منه الإنكار والتعجيب من شأن هؤلاء الذين أشركوا بالله تعالى مع ما أولاهم الله تعالى من المنح، ورزقهم من الذرية، وأسبغ عليهم النعم ظاهرة وباطنة؛ كما قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [النَّحْلِ: ١٧]، وكما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الْحَجِّ: ٧٣]، بل هم مخلقون لله تعالى؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.[١]

﴿وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾.

ولا تستطيع هذه الأوثان دفع الضرِّ عمن يعبدها، ولا تستطيع دفع الضر عن أنفسها كذلك ففي الكلام ترقي من الأدنى إلى الأعلى، فإذا كانوا لا يستطيعون نصر أنفسهم فكيف ينصرون غيرهم.

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾.

أي: وإن تدعوا هذه الأصنام إلى الهدى والرشاد لا يستجيبون لكم؛ لأنها جمادات لا تسمع ولا تبصر. وإن تدعوهم إلى أن يهدوكم ويرشدوكم لا يستجيبون لكم، فكما أنها لا تنفع ولا تضر، فهي لا تستجيب لداعي الفلاح، ولا تجيب من سألها الهدى والرشاد.

---

١ - سورة الفرقان: الآية/ ٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾.

أي: لا فرق بين دعائكم إياهم، وصمتكم عن دعائهم.

ولفظ الآية أبلغ بكثير جدا من أن يقال: (سواء عليكم أدعوتموهم أم صمتم)، فإن قوله: ﴿أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾، جملة أسمية تفيد الدوام والثبات.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٩٤، ١٩٥

يقول الله تعالى لهؤلاء المشركين الذين عبدوا الأوثان من دون الله، فسجدوا لها وركعوا، ودعوها من دون الله، وقربوا لها القرابين، عن تلك الأوثان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾، أي: إن هؤلاء الذين تعبدونهم من دون الله قصارى أمرهم أن يكونوا عبادًا لله أمثالكم، وخلق من خلقه تعالى يجري عليهم قدره، وتنفذ فيهم مشيئته، لا يملكون لكم نفعًا ولا ضرًا، وآية ذلك أنهم لا يستجيبون لكم إذا دعوتموهم، فإن كنتم صادقين في زعمكم أنهم يملكون لكم جلب نفعٍ أو كشف ضرٍّ فليستجيبوا لكم إذن وأنتم تدعونهم ليل نهار، فلم جعلتم أنفسكم عبيدًا لهم، وجعلتم منهم آلهة وأربابًا؟

والأمر في قوله: ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾، أمر تعجيز لتلك الأصنام، وتقريع لعابديها.

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾.

أي: يقول تعالى مُبَكِّتًا لهم: هذه الأوثان التي تعبودنها من دون الله وترجون منها النفع، وتخشون منها الضر ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾. في حوائجكم؟

﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾. فيدفعون بها الضرَّ عنكم؟ فإن البطش عبارة عن الأخذ باليد بقوة.

﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا﴾. فيرونكم وأنتم تعبدونهم؟

﴿أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾. فيسمعون دعاءكم ويكشفون ما نزل بكم من الضرِّ؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإذا لم يكن فيها شيء من تلك الآلات وهي آلات البطش والإدراك، فهذا دليل عجزها وجهلها، وأنكم أكمل منها حالًا، بل هي جمادات لا حياة فيها، فثبت أنها لا تستحق العبادة.

وَوَصفُ الأَرجُلِ بِ ﴿يَمْشُونَ بِهَا﴾، وَالأَيدِي بِ ﴿يَبْطِشُونَ بِهَا﴾، وَالأَعيُنِ بِ ﴿يُبْصِرُونَ بِهَا﴾، وَالآذَانِ بِ ﴿يَسْمَعُونَ بِهَا﴾؛ لأنهم كانوا يصورون أصنامهم على صور الآدميين، فإذا كان لتلك الأصنام صور الأرجل والأيدي والأعين والآذان، فهي مجرد صور لا نفع فيها.

﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ﴾.

قَالَ الحَسَنُ: كانُوا يُخَوِّفونَ الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم بِآلِهتِهِم، ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ﴾؛ أي: قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لأولئك الذين يخوفونك بأوثانهم: ادعوا أوثانكم الذين جعلتموهم شركاء لله تعالى واستعينوا بهم في عداوتكم لي لينصروكم علي، ثم اجتهدوا في الكيد لي والمكر بي أنتم وشركاؤكم ولا تأخروني.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نزلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٦) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٧) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٩٦، ١٩٨

هذه الآية تعليل لقوله في الآية السابقة: ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ﴾، أي إن الذي يتولى حفظي ونصرتي ويكفيني هو الله تعالى وهو حسبي ونعم الوكيل، والولي هو الناصر والكافي، ﴿الَّذِي نزلَ الْكِتَابَ﴾؛ أي: كما أيدني بإنزال الكتاب، والألف واللام للعهد، يعني القرآن.

﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾.

أي: وهو ينصر الصالحين من عباده الذي يعبدونه ولا يشركون به شيئًا، فصلح أعتقادهم وصلحت أعمالهم، فلا تضرهم عداوة من عاداهم، وقوله: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾، جملة معترضة، لبيان حفظ الله لأوليائه، ومدح للمؤمنين الموحدين وثناء عليهم حيث وصفهم بالصلاح.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾.

أي: والذين تعبدون من دون الله لا يستحقون العبادة لأنهم لا يستطيعون نصركم إذا استنصرتموهم، ولا يستطيعون نصر أنفسهم.

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

قيل: المراد بهذه الآية أصنام المشركين لا تستجيب لمن دعاها، ولا تسمعهم ابتداءً، وتراها تنظر إليك لما صوروا فيها من هيئة الأعين، ولكنها لا تبصر حقيقةً لأنها جمادٌ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقيل المراد بذلك المشركون وصفهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون لأنهم لم ينتفعوا بأسماعهم ولا أبصارهم؛ فإنهم يسمعون الآيات الشرعية ولا ينتفعون بها، ويرون الآيات الكونية ولا ينتفعون بها.

والفائدة في تكرير هذا بعد قوله تعالى: ﴿وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٢) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ.....﴾ [الآية: ١٩٢، ١٩٣]، أن الكلام في الآيتين السابقتين مذكور على جهة التقريع والتوبيخ، وفي هاتين الآيتين لبيان الفرق بين مَنْ تجب عبادته وهو الله الذي يتصف بكل كمال، والذي يتولى الصالحين بنصره وحفظه، وبين هذه الأصنام التي ليست كذلك فلا يصح أن تُعبَد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٩٩

يأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقبل الميسور من أخلاق الناس، ولا يستقصي عليهم فتظهر منهم البغضاء.

ويطلق العفو في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: الفضل من المال وغيره، وكل ما أُتي بغير كلفة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، أي: ما يفضل عن أهلك.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: «أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْخُذَ العَفْوَ مِنْ أَخْلاَقِ النَّاسِ، أَوْ كَمَا قَالَ»، وقال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ إِلَّا فِي أَخْلاَقِ النَّاسِ».[١]

وقال مجاهد والحسن: أُمِرَ أن يأخذ عفو أخلاق الناس.

الثاني: الترك؛ وهو قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧]؛ أي: إلا أن يتركن لكم ما يجب لهن من نصف الصداق، أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح يعني: الزوج، وعفوه أن يعطي المهر كاملا.

والثالث: يطلق الْعَفو ويراد به الصَّفحُ عَن الذنبِ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ [التَّوْبَةِ:٤٣]، وقيل: هو المراد في هذه الآية فيكون المرادُ: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصفح عن المشركين، وأن يعرض عن جاهلهم، ولا يؤاخذهم بإساءتهم إليه، وإلى المؤمنين.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ التَّفْسِيرِ، سُورَةُ الْأَعْرَافِ، ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الْعُرْفُ الْمَعْرُوفُ، حديث رقم: ٤٦٤٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ يَعْنِي: خُذْ مَا عَفَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَمَا أَتَوْكَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ فَخُذْهُ.

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾.

أي: وأمر بالمعروف، وهو: ما يعرف كل أحد صوابه، وتستحسنه النفوس.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.

قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾. أي: إذا تَعَرَّضَ لك الجَاهِلُ بالسفه فلا تكافئه بفعله، وَلَا تقابله بمثل سفهه، ولكن أعرض عنه؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ [الْفُرْقَانِ: ٦٣]، وَقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾.[1]

وروى ابن أبي حاتم عَنْ أُمَيٍّ، قَالَ: "لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟»، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ".[2]

قَالَ قَتَادَةَ: هَذِهِ أَخْلَاقٌ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدَلَّهُ عَلَيْهَا.

وهذا من الخاص الذي يراد به العموم فهذه وإن كانت وصية من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم فإن تعم جميع أمته، ويجب عليهم العمل بها؛ لما ثبت عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ

---

١ - سورة القصص: الآية/ ٥٥

٢ - تفسير ابن أبي حاتم- حديث رقم: ٨٦٨٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا»، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فَاسْتَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ»، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، «وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ».[1]

وقال جعفر الصَّادقُ: أَمَرَ اللَّهُ تعالى نَبيَّهُ بِمكارِمِ الأَخلَاقِ وليس فِي القُرآنِ آيةٌ أَجمَعُ لِمَكَارِمِ الأَخلاقِ منها.[2]

١ - رواه البخاري- كِتَابُ التَّفْسِيرِ، سُورَةُ الْأَعْرَافِ، باب: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الْعُرْفُ الْمَعْرُوفُ، حديث رقم: ٤٦٤٢

٢ - البحر المحيط في التفسير (٥/ ٢٥٧)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٢٠٠

أصلُ النَّزْغِ: النَّخْسُ وَالْغَرْزُ، وَفِيهِ لُغَتَانِ: نَزْغٌ وَنَغْزٌ، يُقَالُ: إِيَّاكَ وَالنَّزَّاغَ وَالنَّغَّازَ.

أي: وَإِمَّا يُصِيبَنَّكَ وَيَعْرِضُ لَكَ عِنْدَ الْغَضَبِ وَسْوَسَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ بِمَا لَا يَحِلُّ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ.

وَنَزْغُ الشَّيْطَانِ: عِبَارَةٌ عَنْ وَسَاوِسِهِ وَنَخْسِهِ فِي الْقَلْبِ بِمَا يُسَوِّلُ للإنسان من المعاصي، وَإِطْلَاقُ النَّزْغِ عَلَى وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ اسْتِعَارَةٌ: شَبَّهَ حُدُوثَ الْوَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِيَّةِ فِي النَّفْسِ بِنَزْغِ الْإِبْرَةِ وَنَحْوِهَا فِي الْجِسْمِ بِجَامِعِ التَّأْثِيرِ الْخَفِيِّ.

﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾.

الِاسْتِعَاذَةُ: مَصْدَرُ طَلَبِ الْعَوْذِ، وَالْعَوْذُ: الِالْتِجَاءُ إِلَى اللهِ بِالدُّعَاءِ بِالْعِصْمَةِ؛ أَيِ: فاطْلُبِ النَّجَاةَ مِنْ ذَلِكَ بِالِالْتِجَاءِ إلى اللهِ والاعتصام به تعالى.

﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

أي: إن الله هو السميع لدعائك ومناجاتك، واستعاذتك، عليم بما ألقاه الشيطان من نزغه ووسوسته، وبما يدور في نفسك من أثر وسوسته، وما يذهب ذلك عنك.

ولما كان لا سبيل إلى مصانعة الشيطان؛ لأنه لا يريد إلا إهلاك بني آدم بخلاف عداوة بني آدم، أَمَرَ الله تعالى بمصانعة بني آدم؛ لأنَّ عداوته قد تنقلب إلى محبة، وتتحول إساءته إلى إحسان؛ فقال تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾. [فُصِّلَتْ: ٣٤]، وأمر تعالى بالاستعاذة من الشيطان؛ لأن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مصانعته لا تجدي، ومداراته لا تفيد؛ كما في هذه الآية؛ وكما في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نزغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.[1]

١ - سورة فُصِّلَتْ: الآية/ ٣٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٢٠١

لما بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السابقةِ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ يَنْزَغُهُ الشَّيْطَانُ وَبَيَّنَ أَنَّ سبيلَ النجاةِ من نزغِ الشَّيْطَانِ: الِاسْتِعَاذَةُ منه باللَّه، بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى فِي هذه الْآيَةِ ما يجب على المتقين إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ.

ولما كان نزغُ الشيطان لِلرَّسُولِ مُحْتَمِلًا ذُكِرِ الشَّرْطُ بِلَفْظِ إِنْ، ولما كان متحققًا لِلْمُتَّقِينَ ذُكِرِ الشَّرْطُ بِلَفْظِ إِذَا التي تفيدُ التَّحْقِيق، لأن النزغ قد يقع وقد لا يقع، والمسُّ واقع لا محالة.

ولما كان الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معصومًا من مسِّ الشيطان بين تعالى أنه لَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا النَّزْغُ الَّذِي هُوَ أدنى حركةٍ فِي ابْتِدَاءِ فِي الْوَسْوَسَةِ، ولما كان المتقون ليسوا كذلك ذكر الله تعالى في حقهم المسَّ وأصله إِلْصَاقُ الْبَشَرَةِ، وَهُوَ هُنَا كناية عن تمكن الشيطان منهم وإصابتهم بوسوسته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾.

قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَالْكِسَائِيُّ ﴿طَيْفٌ﴾ بِغَيْرِ أَلِفٍ، وَالْبَاقُونَ: ﴿طائِفٌ﴾ بِالْأَلِفِ.

قيل: الطَّيفُ والطَّائِفُ معناهما واحد، وقيل: ﴿طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾: لَمَمٌ من الشَّيْطَان، و ﴿طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾: فَاعل مِنْهُ.

قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: الطَّيْفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْجُنُونُ، ثُمَّ قِيلَ لِلْغَضَبِ طَيْفٌ، لِأَنَّ الْغَضْبَانَ يُشْبِهُ الْمَجْنُونَ.

والطائفُ: اللَّمَّةُ وَالْوَسْوَسَةُ من الشيطان، ويطلق على الغضب والجنون، والمراد به هنا اللَّمَّةُ وَالْوَسْوَسَةُ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ مُجَاهِدٌ: الطَّيْفُ الْغَضَبُ. وَيُسَمَّى الْجُنُونُ وَالْغَضَبُ وَالْوَسْوَسَةُ طَيْفًا لِأَنَّهُ لَمَّةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزبير وَالسُّدِّيُّ: إِذَا زَلُّوا تَابُوا.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: إِذَا هَمُّوا بِذَنْبٍ ذَكَرُوا اللَّهَ فَتَرَكُوهُ.

وَقَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ: إِذَا غَضِبَ كَظَمَ غَيْظَهُ.

﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾.

أي: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إذا تَمَكَّن منهم مَسُّ الطَّائِفِ من الشياطين حَتَّى حَصَلَ لهم نِسْيَانٌ لبعض الأمرِ والنهي، تَذَكَّرُوا مَا أَمَرَ الله تَعَالَى بِهِ وَمَا نَهَى عَنْهُ، وتَذَكَّرُوا عِقَابَه وثَوَابَه، وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ، فاستفاقوا من غفلتهم، وانتبهوا من غفوتهم، وثابوا إلى رشدهم، وَتَابُوا وَأَنَابُوا لربهم.

و ﴿إذا﴾ هنا الفجائية؛ والمعنى: إذا تَذَكَّرُوا زالَ عنهم مَسُّ طَائِفِ الشَّيْطَانِ، وَحصلَ لهم الِاسْتِبْصَارُ في الحالِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٢٠٢

وَإِخْوَانُهُمْ يعني: إخوَانَ الشياطين مِنَ الإنسِ؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الْإِسْرَاءِ:٢٧]، قَالَ الْكَلْبِيُّ: لِكُلِّ كَافِرٍ أَخٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ.

﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾. يَعْنِي: يَزِيدُونَهُمْ فِي الْغَيِّ. والْمَدُّ: الزِّيَادَةُ.

قَرَأَ نَافِع: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾ بِضَم الْيَاء وَكسر الْمِيم مِنْ أمد يمد، أي: يزيدونهم غيا؛ كقوله تَعَالَى: ﴿وأمددناكم بأموال وبنين﴾.

وَقَرَأَ الْبَاقُونَ ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾. بِفَتْح الْيَاء من مد يمد إِذا جر أَي: يجرونهم فِي الغي.

ولما ذكر حال المتقين، ذكر حال ما يقابلهم وهم المشركون، فأخبر أنَّ إخوَانَ الشياطين مِنَ الإنسِ يمد بعضهم بعضًا في الغي والضلال ليستمروا فيه، ثم لا يمسكون عن إغوائهم وإضلالهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٢٠٣

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أمر الله تعالى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإعراض عن الجاهلين بقوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، ذكر هنا أن من جهالتهم أنك إِذَا لَمْ تَأْتِهِم بمُعجزةٍ خَارقةٍ اقترحوها قَالُوا لَولَا اجتَبَيتَهَا؛ أي: هلا اخترتها واصطفيتها. ظنًّا منهم أنه يأتي بالآيات من نفسه.

وقيل: المرد بالآية هنا الآية من القرآن ويكون المعنى: هلا اخترعتها من قبل نفسك.

قَالَ الْكَلْبِيُّ: كَانَ أَهْلُ مَكَّةَ يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآيَاتِ تَعَنُّتًا فَإِذَا تَأَخَّرَتِ اتَّهَمُوهُ.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾.

أي: قل لهم يا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا أختلق الآيات، ولا أختارها، وإنما أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي.

﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

ثُمَّ أَرْشَدَهُمْ إِلَى أَنَّ أَعْظَمَ الْمُعْجِزَاتِ، وَأَصْدَقَ الْحُجَجِ وَالْبَيِّنَاتِ، هَذَا الْقُرْآنَ العظيم، وأنزله الله تعالى بَصَائِرَ، أي: دلائل على صدق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تقود إلى الحق، وحجج وبرهين من ربكم تبدد ظلمات الكفر، ورحمة لمن آمن بالله تعالى، وامتثل أمره، واتبع هداه، وآمن برسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٢٠٤

لَمَّا وَصَفَ اللهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ بأنَّه بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ للمُؤمِنِينَ، أَمَرَ اللهُ تَعَالَى المؤمِنِينَ بِالاستِمَاعِ له والْإِنْصَاتِ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ تعْظِيمًا لَهُ ولِنَيْلِ الرَّحْمَةِ بِالاستِمَاعِ والْإِنْصَاتِ له، ولَيس كَمَا كَانَ يفعلُ الْمُشْرِكُونَ الذين كَانُوا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ الاستماعِ إِلَى الْقُرْآنِ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾.[1]

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

يأمر الله تعالى المؤمنين بِالاستِمَاعِ والْإِنْصَاتِ عِنْدَ تِلَاوَة الْقُرْآنِ، ليرحمهم الله تعالى، وظاهر اللفظ يدل على وجوب الاستِمَاعِ والْإِنْصَاتِ حيث قرأ القرآن مطلقًا، وبه قالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيّ، وَأَهْلُ الظَّاهِرِ.

وَقَالَ بَعضُهُم: الأَمرَ لِلنَّدبِ وليس لِلوُجُوبِ.

وقال جمهور العلماء: الأَمرَ لِلوُجُوبِ لكنَّ ذلك فِي الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ؛ لأَنَّ إِيجَابَهُمَا عَلَى كُلِّ مَنْ يَسْمَعُ أَحَدًا يَقْرَأُ، فِيهِ حَرَجٌ عَظِيمٌ.

قال ابنُ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾. يَعْنِي: فِي الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ.

وعبد الرحمن ابن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾. قَالَ: فِي الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ.

وَحَكَى ابْنُ الْمُنْذِرِ الْإِجْمَاعَ عَلَى عَدَمِ وُجُوبِ الِاسْتِمَاعِ وَالْإِنْصَاتِ فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ.

---

١ - سورة فُصِّلَتْ: الآية/ ٢٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالِاسْتِمَاعُ أَبْلَغُ مِنَ السَّمْعِ؛ لأنَّ السَّمْعَ يَحْصُلُ بِغَيْرِ قَصْدٍ، وَالِاسْتِمَاعُ لَا يَكُونَ إلاُ بِقَصْدٍ وَنِيَّةٍ.

وَالْإِنْصَاتُ: السُّكُوتُ وترك الشواغل عندَ الِاسْتِمَاعِ، ففي الكلام ترقٍ من الأدنى إلى الأعلى.

ومما يدل على فضل الاستماع لكلام الله تعالى ما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كُتِبَ لَهُ حَسَنَةٌ مُضَاعَفَةٌ، وَمَنْ تَلَاهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».[1]

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ٨٤٩٤، بسند ضعيف، فيه عباس بن ميسرة لين الحديث، والحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾. سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٢٠٥

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أمر الله تعالى المؤمنين بالاستماع إلى القرآن والإنصات له إذا قرئ، أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم – وهو أمر لأمته تبعًا له – أن يذكر ربه رغبة ورهبة مما عنده بالغدو والآصال، على هيئة تليق بجلال الله تعالى من الإجلال والتعظيم.

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾.

أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يذكر ربه تعالى في نفسه استحضارًا لعظمته، ومراقبة له في خلوته، ومناجاة له في سره بحيث لا يطلع على ذلك غيره، ولا يسمعه سواه، لأن الإخفاء أقرب إلى الإخلاص وأدعى إلى التفكر، حال كونه خاشعًا متذللا راغبًا فيما عنده، وخائفًا وجلًا منه تعالى.

﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾.

ولما أمر الله تعالى بالذكر القلبي أتبعه بالأمر بالذكر اللساني، ليجمع بين الحالتين، ثم ذكر أفضل أوقات الذكر فقال بالغدو أي: وقت صلاة الصبح، والآصال أي: وقت صلاة العصر، وخص هذين الوقتين لشرفهما، وقيل المراد: جميع الأوقات وذكر الغدو والآصال إشارة إلى طرفي النهار.

والغدو جمع غُدوةٍ، والآصالُ: جمع أُصُلٌ، وأُصُلٌ جمع أصيل.

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ، هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ».[1]

﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

تحذير من الغفلة عن ذكر الله تعالى، وهو يستلزم دوام مراقبته واستحضار عظمته، على كل حال.

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ رَفْعِ الصَّوْتِ فِي التَّكْبِيرِ، حديث رقم: ٢٩٩٢، ومسلم- كِتَابُ الذِّكْرِ، وَالدُّعَاءِ، وَالتَّوْبَةِ، وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ، حديث رقم: ٢٧٠٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾.

سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٢٠٦

لما أمر الله تعالى بالمداومة على ذكره بالغدو والآصال ونهى عن الغفلة عن ذلك، ذكر تعالى حال الملائكة المقربين الذين عنده تعالى؛ كحملة العرش ومن حوله، ليتأسى بهم المؤمنون في اجتهادهم في عبادة الله وكثرة ذكرهم له تعالى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾.

المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾، الملائكة، وهذه الآية دليل قاطع على أن الله تعالى فوق السماوات مستو على عرشه بائن من خلقه، وليس في كل مكان، إذ لو كان كذلك لكانت الملائكة والجن والإنس وسائر الخلق كلهم عند الله تعالى، ولما كان حملة العرش والملائكة في السماء كانوا أقرب إلى الله تعالى من أهل الأرض؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾.[1]

قال الدَّارِمِيُ: فَلَوْ كَانَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ كَمَا ادعيت الْجَهْمِيَّةُ مَا كَانَ لِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ مَعْنًى، إذ كُلُّ الْخَلْقِ عِندَهُ وَمَعَهُ فِي الأَرضِ بِمَنزِلَةٍ وَاحِدَةٍ، مُؤمِنُهُم وَكَافِرُهُمْ، وَمُطِيعُهُمْ وَعَاصِيهِمْ وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْأَرْضِ مَن لَا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَا يَسْجُدُ لَهُ. وَلَو كَانَ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَمَعَ كل أحد لَم يَكُن لِهَذِهِ الْآيَةِ مَعنًى؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ لَا يُؤمِنُ بِهِ وَلَا يَسجُدُ لَهُ وَيَستَكبِرُ عَن عِبَادَتِهِ فَأَيُّ منقبة إذا فِيهِ لِلْمَلَائِكَةِ إِذْ كُلُّ الْخَلْقِ عِنْدَ الْجَهْمِيَّةِ فِي مَعْنَاهُمْ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ.[2]

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ: فَلَو كَانَ مُوجِبُ العِندِيَّةِ مَعنًى عَامًّا كَدُخُولِهِم تَحتَ قُدرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَأَمثَالِ ذَلِكَ: لَكَانَ كُلُّ مَخلُوقٍ عِندَهُ؛ وَلَم يَكُن أَحَدٌ مُستَكبِرًا عَن عِبَادَتِهِ بَل مُسبِّحًا

---

١ - سورة الأنبياء: الآية/ ١٩

٢ - الرد على المريسي (١/ ٥٠٥)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لَهُ سَاجِدًا وَقَد قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، وَهُوَ سُبحَانَهُ وَصَفَ الْمَلَائِكَةَ بِذَلِكَ رَدًّا عَلَى الكُفَّارِ المستَكبِرِينَ عَن عِبَادَتِهِ.[1]

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾.

ووصف الله تعالى الملائكة بأنهم لا يستكبرون عن عبادته تعالى، ليتأسى المؤمنون بهم في خضوعهم لله تعالى وطاعتهم له، وفيه تعريض بالمشركين الذين يستكبرون عن عبادة الله تعالى، ويستنكفون عن توحيده، ويشمئزون من ذكره وحده عز وجل؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزُّمَرِ:٤٥]، ووصفهم بأنهم يسبحونه أي ينزهونه عن النقائص، ويلهجون بالتسبيح بحمده؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾. [غافِرٍ: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.[2]

ثم وصفهم بقوله: ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾، أي: يداومون على عبادته تعالى؛ عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ».[3]

---

١ – مجموع الفتاوى (٥/ ١٦٦)

٢ – سورة الزُّمرِ: الآية/ ٧٥

٣ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢١٥١٦، والترمذي– أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا»، حديث رقم: ٢٣١٢، وابن ماجه– كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ الْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ، حديث رقم: ٤١٩٠، والحاكم– كِتَابُ الْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ، حديث رقم: ٨٦٣٣، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وخصَّ السجود بالذكر لأنَّه أعظم مظاهر العبودية، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ».[1]

وقدم الجار والمجرور للتخصيص؛ أي: يسجدون له وحده، ولا يسجدون لشيء سواه، وفيه تعريض بالمشركين الذين عبدوا غير الله تعالى، وقالوا عن أوثانهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.[2]

وهذا الموضع هو أول موضع للسجود في ترتيب المصحف؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ – وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ: يَا وَيْلِي – أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ".[3]

آخر تفسير سورة الأعراف ولله الحمد والمنة، ونسأل الله الإعانة على التمام.

---

١ – رواه مسلم– كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، حديث رقم: ٤٨٢

٢ – سورة الزمر: الآية/ ٣

٣ – رواه مسلم– كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ إِطْلَاقِ اسْمِ الْكُفْرِ عَلَى مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ، حديث رقم: ٨١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَنْفَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ١

سُورَةُ الأَنفَالِ مَدَنِيَّةٌ، وسميت بذلك لأنها افتتحت بذكر الأنفال، وتسمي بـ (سورة بدر) أَخْرَجَ أَبُو الشَّيخِ عَن سَعِيدِ بنِ جبير قال: قلت لابن عَبَّاسٍ: سُورةُ الأَنفَالِ، قَالَ: تِلكَ سُورةُ بَدرٍ.

سبب نزول السورة:

قيل: سبب نزول هذه السورة ما روي عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ قُتِلَ أَخِي عُمَيْرٌ، وَقَتَلْتُ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وَأَخَذْتُ سَيْفَهُ، وَكَانَ يُسَمَّى ذَا الْكَتِيفَةِ، فَأَتَيْتُ بِهِ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اذْهَبْ فَاطْرَحْهُ فِي الْقَبَضِ» قَالَ: فَرَجَعْتُ وَبِي مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلا اللَّهُ مِنْ قَتْلِ أَخِي، وَأَخْذِ سَلَبِي، قَالَ: فَمَا جَاوَزْتُ إِلا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْفَالِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اذْهَبْ فَخُذْ سَيْفَكَ».[١]

وقيل سببها ما روي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَنَعَ كَذَا وَكَذَا، فَلَهُ كَذَا وَكَذَا» قَالَ: فَتَسَارَعَ فِي ذَلِكَ شُبَّانُ الرِّجَالِ، وَبَقِيَتِ الشُّيُوخُ تَحْتَ الرَّايَاتِ فَلَمَّا كَانَتِ الْغَنَائِمُ، جَاءُوا يَطْلُبُونَ الَّذِي جَعَلَ لَهُمْ، فَقَالَتِ الشُّيُوخُ: لَا تَسْتَأْثِرُوا عَلَيْنَا، فَإِنَّا كُنَّا رِدْءًا لَكُمْ، وَكُنَّا تَحْتَ الرَّايَاتِ، وَلَوِ انْكَشَفْتُمْ لَفِئْتُمْ إِلَيْنَا، فَتَنَازَعُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].[٢]

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٥٥٦، وسعيد بن منصور- تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَنْفَالِ، حديث رقم: ٩٨٣، والطبري في تفسيره (١٣/ ٣٧٣)

٢ - رواه الطبري (١١/ ١٣)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: لَمَّا هُزِمَ الْعَدُوُّ يَوْمَ "بَدْرٍ" وَاتَّبَعَتْهُمْ طَائِفَةٌ يَقْتُلُونَهُمْ وَأَحْدَقَتْ طَائِفَةٌ بِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَاسْتَوْلَتْ طَائِفَةٌ عَلَى الْعَسْكَرِ وَالنَّهْبِ، فَلَمَّا نَفَى اللَّهُ الْعَدُوَّ، وَرَجَعَ الَّذِينَ طَلَبُوهُمْ، قَالُوا: لَنَا النَّفَلُ؛ نَحْنُ طَلَبْنَا الْعَدُوَّ وَبِنَا نَفَاهُمُ اللَّهُ وَهَزَمَهُمْ، وَقَالَ الَّذِينَ أَحْدَقُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ بِأَحَقَّ بِهِ مِنَّا؛ نَحْنُ أَحْدَقْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنَالُ الْعَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً فَهُوَ لَنَا، وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَوْلَوْا عَلَى الْعَسْكَرِ وَالنَّهْبِ: وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ بِأَحَقَّ مِنَّا؛ نَحْنُ أَخَذْنَاهُ وَاسْتَوْلَيْنَا عَلَيْهِ فَهُوَ لَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾، فَقَسَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالسَّوِيَّةِ.[1]

بين يدي السورة:

نزلت سورة الأنفال في غزوة بدر تبين للمؤمنين معالم طريق العزة والنصر والتمكين في الدينا، وتؤذن بميلاد عهد جديد طالما انتظره المؤمنون، وتمنوا رؤيته، لتنتهي به مرحلة الاستضعاف والموادعة، مع تلك السطوة الغاشمة التي كانت للمشركين عباد الأوثان.

بدأت السورة بالكلام عن أولى ثمار تلك الغزوة العظيمة غزوة بدر الكبرى، وهي الأنفال إشارة إلى أن المشركين وعتادهم وأموالهم صاروا نهبًا للمؤمنين ومغانم يتقاسمونها، وهي إشارة إلى كسر كبرياء أولئك المعاندين، وإرغام لأنوفهم.

ثم بيان تقدير الله تبارك وتعالى لوقوع القتال ليتحقق ذلك الحدث الجلل، وإن كان يكره بعض المؤمنين وقوعه في ذلك الوقت إيثارًا للسلامة، وتمنيًّا للغنيمة بلا قتال؛ ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾. [الْأَنْفَالِ: ٥، ٦]، ولكنها مشيئة الله النافذة، وقدرته الباهرة، وحكمته البالغة؛ ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ، وابن حبان- كتاب السير، بَابُ الْغُلُول، ذِكْرُ الْإِخْبَارِ بِأَنَّ الْغَالَّ يَكُونُ غُلُولُهُ فِي الْقِيَامَةِ عَارًا عَلَيْهِ، حديث رقم: ٤٨٥٥، والحاكم- كِتَابُ قَسْمِ الْفَيْءِ، حديث رقم: ٢٦٠٧، وابن أبي حاتم في تفسيره حديث رقم: ، بسند حسن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.[1]

ثم بيان فضله العظيم بعباده المؤمنين بإغاثتهم حين استغاثوه وتأييدهم بالملائكة الكرام يقاتلون معهم، وإنزال السكينة عليهم أثناء القتال، حتى غشَّاهم النعاسَ أمنة منه تعالى في موطن تطيش فيه العقول، وألقى الرعب في قلوب أعداهم، مع توهين كيدهم وقتل صناديدهم؛ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾. سورة الْأَنْفَالِ: الآية/ ١٧

ثم بيان علة البطش بأولئك المشركين المعاندين، وهي مشاقتهم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم؛ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. [الْأَنْفَالِ: ١٣]، مع ما ينتظرهم من عذاب النار إذا لجوا في طغيانهم وأقاموا على كفرهم.

ثم تمضي السورة ترسم ملامح العهد الجديد، وتبين معالمه، بأمر المؤمنين بإعداد ما استطاعوا من القوة لإرهاب أعداء الله الذين لا يردعهم عن غيهم إلا ذلك.

الأَنفَالُ: جَمعُ نَفَلٍ، بِالتَّحرِيكِ، وهي الغنائم؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْأَنْفَالُ: الْغَنَائِمُ.

وَأَصلُ النَّفلِ فِي اللُّغَةِ: الزِّيَادَةُ عَنِ الْوَاجِبِ، ممَّا تطوع بِهِ الْمُعْطِي مِمَّا لَا يجب عَلَيهِ وَمِنه قيل لصَلَاة التَّطَوُّع نَافِلَة.

وقِيلَ للغنائمِ أنفالٌ لأنها زيادة في الحلال خصَّ الله بها هذه الأمة، وكانت محرمةً على الأمم السالفة.

الْفرق بَين الْغَنِيمَة وَالنَّفل: أَن النَّفل ما ينفلهُ قائد الجيش بعض جنده زيادةً على السهم من المغنم؛ كأن يقول: من قتل قَتِيلا فلك سلبه.

---

١ - سورة الْأَنْفَالِ: الآية/ ٧، ٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَالَ ابْن عَبَّاس فِي رِوَايَة الأَنفَال مَا شَذَّ عَن الْمُشركين إِلَى الْمُسلمين من غير قتال نَحو العَبد وَالدَّابَّة.

والغنائم ما فرَّ عنه المشركون وتركوه.

وتطلق الأنفال ويراد بها: الغنائمُ، ويطلق النَّفْلُ ويراد به: الْهِبَةُ، ويطلق ويراد به: التطوُّع، ويطلق ويراد به: اليمينُ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: "فَتُبَرِّئُكُمْ يَهُودُ بِنَفْلِ خَمْسِينَ مِنْهُمْ". وَيطلق ويراد به: الِانْتِفَاءُ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ" فَانْتَفَلَ مِنْ وَلَدِهَا"؛ قال ابْنُ الأَعرابي: النَّفَل الغنائمُ، والنَّفَل الْهِبَةُ، والنَّفَل التطوُّع.[1]

أي: يسألك أصحابك أيها الرسول صلى الله عليه وسلم عن الأنفال: لمن هي؟ وكيف تقسم؟

﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾.

أي: قل لهم الأنفال لله تعالى يحكم فيها بما أراد، وللرسول يقسمها بما أراه الله تعالى، وإنما قال لهم ذلك قطعًا للنزاع الذي وقع بينهم، ومنعًا للخلاف فيها في المستقبل.

لما قال الله تعالى: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، منعًا للاختلاف فيها، وقطعًا للنزاع الذي وقع بينهم، أمرهم الله تعالى أن يتقوا الله فقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: احذروا أسباب سخط الله تعالى واجعلوا بينكم وبينها وقاية، وقدم الأمر بالتقوى لأنها توطئة لما بعدها، كأنه يقول: ليس من شأن أهل التقوى التنازع على الدنيا، والقطيعة على متاعها.

وَثنَّى بالْأَمْرِ بِإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ؛ لِأَنَّهُمُ اخْتَصَمُوا فِي شَأْنِ الأنفالِ فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ فأمرهم الله تعالى برأب الصدع ووترك الشقاق، وتجنب أسباب الخلاف؛ كَمَا قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ: «اخْتَلَفْنَا فِي النَّفَلِ وَسَاءَتْ فِيهِ أَخْلَاقُنَا، فَانْتَزَعَهُ اللهُ مِنْ أَيْدِينَا، وَجَعَلَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى

---

١ - لسان العرب (١١/ ٦٧١)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَسَمَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ بَوَاءٍ». يَقُولُ: عَلَى السَّوَاءِ.[1]

وَالْبَيْنُ من ألفاظ الأضدادِ يطلق على الوصل ويطلق على الفراقِ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]؛ قُرِئَ بِالرَّفْعِ، أي: تَقَطَّعَ شَمْلُكُمْ وتَوَاصُلُكُمُ الَّذِي كَانَ بَيْنَكُمْ فِي الدُّنيَا، وقُرِئَ بِالنَّصْبِ؛ أَيْ: لَقَدِ تَقَطَّعَ مَا بَيْنَكُمْ مِنَ الْأَسْبَابِ وَالْوَسَائِلِ.

ثم أَمَرَهُمُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم، وَالْمُرَادُ بِالطَّاعَةِ هُنَا الرِّضَى بحكم الله تعالى وبِمَا قَسَمَ لهم رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.[2]

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

أي: إن كنتم كاملي الإيمان؛ فإن كمال الإيمان لا يتحقق إلا بالتقوى، وكمال طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإصلاح ذات البين، وترك الشقاق والنزاع.

---

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢٢٧٥٣، بسند حسن

٢ – سورة النِّسَاء: الآية/ ٦٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٢- ٤

مناسبة الآية لما قبلها:

لما بين الله تعالى أن طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم من لوازم الإيمان بقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، بين تعالى في هذه الآية صفات المؤمنين التي يبلغ بها العباد مرتبة الكمال؛ لتحريضهم على بلوغ أعلى مراتب الدين، وتسنم أرفع مقامات الإيمان.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

قال ابْنُ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾. قَالَ: الْمُنَافِقُونَ لَا يَدْخُلُ قُلُوبَهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عِنْدَ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِشَيْءٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَلَا يَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ، وَلَا يُصَلُّونَ إِذَا غَابُوا، وَلَا يُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ.

وصف الله تعالى المؤمنين بخمس صفات، وجعل وصف الإيمان قاصرًا على من اتصف بتلك الصفات، والمراد بالإيمان هنا الإيمان الكامل؛ فإن الإخلال ببعض الواجبات لا ينفي أصل الإيمان.

الصفة الأول: وجل القلب عند ذكر الله تعالى؛ ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، قيل: الوجل: استشعار الخوف؛ قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فَرِقَتْ، أَيْ: فَزِعَتْ وَخَافَتْ.

وقَالَ السُّدِّيُّ: هُوَ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يَظْلِمَ أَوْ قَالَ: يَهُمُّ بِمَعْصِيَةٍ فَيُقَالُ لَهُ: اتَّقِ اللَّهَ فَيجل قَلْبُهُ.

وقيل: الوجل: الاضطراب وعدم الطمأنينة؛ أَي إِذا ذكرت عَظمَة الله وَقدرته لم تطمئِن قُلُوبهم إِلَى مَا قدموه من الطَّاعَة، وظنوا أَنهم مقصرون فاضطربوا من ذَلِك وقلقوا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٦٠]؛ أَيْ: خَائِفَةٌ أَلَّا يُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

الصفة الثانية: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾، أي: وإذا تليت عليهم آيات الله تعالى المنزلة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم زادتهم إيمانًا؛ بما اشتملت عليه من ذكر أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، ولما فيها من دلائل قدرته، ولما اشتملت عليه من أحكام شريعته، فلما تدبروا آيات الله ازدادوا بها علمًا، فازداد بذلك إيمانهم.

والتلاوة: القراءة، وسميت آيات القرآن بذلك؛ لأنها دلائل وحدانية الله تعالى، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم، ودلائل عجز الخلق عن معارضتها.

والإيمان هو: التصديق الجازم المصاحب للإقرار المقرون بالعمل الصالح.

وهذه الآية أصل في زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب، مع قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التَّوْبَةِ: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الْفَتْحِ:٤]، وقال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [الْمُدَّثِّرِ: ٣١]، وغيرها من الآيات الدالة على ذلك، وكل ما كان قابلًا للزيادة فهو قابل للنقصان.

﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

التوكل لغة: إظهار العجز والاعتماد على الغير، وشرعًا هو: صدق اعتماد القلب على الله مع الأخذ بالأسباب.

وهذه هي الصفة الثانية من صفات المؤمنين، أنهم يفوضون أمورهم لله تعالى، فلا تتعلق قلوبهم بغيره، ولا يرجون سواه، ولا يلوذون إلا بجنابه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتقديم الجار والمجرور للقصر؛ أي لا يتوكلون على غير الله تعالى.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

الصفة الرابعة من صفات أهل الإيمان الكامل إقامة الصلاة: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾، وإقامة الصلاة المحافظة على في أوقاتها جماعة مع المسلمين، وأداؤها بشروطها وأركانها وواجباتها، وسننها؛ قَالَ قَتَادَةُ: إِقَامَةُ الصَّلَاةِ: الْمُحَافَظَةُ عَلَى مَوَاقِيتِهَا وَوُضُوئِهَا، وَرُكُوعِهَا، وَسُجُودِهَا.

وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّان: إِقَامَتُهَا: الْمُحَافَظَةُ عَلَى مَوَاقِيتِهَا، وَإِسْبَاغُ الطُّهُورِ فِيهَا، وَتَمَامُ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ فِيهَا، وَالتَّشَهُّدُ وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَذَا إِقَامَتُهَا.

الصفة الخامسة: الإنفاق في سبيل الله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾؛ والإنفاق في سبيل الله يشمل كل نفقة واجبة كالزكاة والإنفاق على الأهل، أو مستحبة كباقي الصدقات.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾.

أي: أولئك الذين تقدمت صفاتهم، هم المؤمنون الإيمان الحق، لا أولئك الذين يزعمون أنهم مؤمنون وليس لهم من الإيمان إلا مجرد الادعاء.

عَنِ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ؟» قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا. فَقَالَ: «انْظُرْ مَا تَقُولُ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟» فَقَالَ: قَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لَيْلِي، وَاظْمَأَنَّ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا. فَقَالَ: «يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالْزَمْ» ثَلَاثًا.[1]

---

١ - رواه الطبراني في الكبير- حديث رقم: ٣٣٦٧، والبزار- حديث رقم: ٦٩٤٨، وابن المبارك في الزهد- بَابُ الْهَرَبِ مِنَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ، حديث رقم: ٣١٤،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

أي: لهم منازل ومقامات في جنات الخلد؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٦٣]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ».[1]

﴿وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

أي: ولهم مغفرة للذنوب والمعاصي، ورزق كريم في جنات النعيم.

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ دَرَجَاتِ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ يُقَالُ هَذِهِ سَبِيلِي وَهَذَا سَبِيلِي، حديث رقم: ٢٧٩٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٥، ٦

اختلف العلماء في متعلَّق هذه الكاف ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾، على أقوال أرجحها أنها متعلقة بالأنفال، فيكون المعنى امض لأمر الله في الغنائم وإن كرهوا، كما مضيت في خروجك من بيتك وهم كارهون.

والمراد بالخروج هنا الخروج إلى بدر، وقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾، لما أباحه الله تعالى لهم من العير عوضا عما فاتهم من الأموال في مكة، وليقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾.

سبب كراهيتهم الخروج، أنهم علموا أنهم لا يظفرون بالغنيمة إلا بالقتال.

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾.

أي: يُجادِلُونَكَ فِي أمر القتال يوم بدر؛ لأنّهم خرجوا بغير عدّة، فقالوا: هلّا خبرتنا بالقتال لنأخذ العُدَّة، فجادلوه طلبًا للرخصة في ترك القتال، بعد ما تبين لهم أنه واقع لا محالة.

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ بِالْمَدِينَةِ: «إِنِّي أُخْبِرْتُ عَنْ عِيرِ أَبِي سُفْيَانَ أَنَّهَا مُقْبِلَةٌ، فَهَلْ لَكُمْ أَنْ نُخْرِجَ قِبَلَ هَذَا الْعِيرِ؟ لَعَلَّ اللهُ يُغْنِمُنَاهَا»، فَقُلْنَا: نَعَمْ، فَخَرَجَ وَخَرَجْنَا، فَلَمَّا سِرْنَا يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ، قَالَ لَنَا: «مَا تَرَوْنَ فِي الْقَوْمِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أُخْبِرُوا بِمَخْرَجِكُمْ؟»، فَقُلْنَا: لَا وَاللهِ مَالَنَا طَاقَةٌ بِقِتَالِ الْعَدُوِّ، وَلَكِنْ أَرَدْنَا الْعِيرَ، ثُمَّ قَالَ: «مَا تَرَوْنَ فِي قِتَالِ الْقَوْمِ؟» فَقُلْنَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو: إِذَنْ لَا نَقُولُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] ، قَالَ: فَتَمَنَّيْنَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَوْ أَنَّا قُلْنَا كَمَا قَالَ الْمِقْدَادُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ يَكُونَ لَنَا مَالٌ عَظِيمٌ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِهِ: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾.[1]

﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾.

أي: حين علموا بخروج قريش من مكة لاستنقاذ العير، فأنكروا خروج قريش لكراهيتهم لقاء المشركين.

١ – رواه الطبراني في الكبير– حديث رقم: ٤٠٥٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٧، ٨

أي: يقول الله تعالى واذكروا أيها المؤمنون إذ يعدكم الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم إحدى الطائفتين غنيمة العير التي مع أبي سفيان، أو النصر على قريش إذا كان بينكم وبينهم قتال، وغنيمة أموالهم وعتادهم، وكان الله تعالى قد أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم – حين بلغه خروج قريش – يعده إحدى الطائفتين أخذ العير أو النصر على النفير.

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾.

وتحبون أن تكون لكم العير لأنها ليست بذات شوكة أي: تحبون غنيمة بلا قتال، ومعنى: ﴿غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾؛ أي: غير ذات الحد، وأصل الشوكة النبات الذي له حد، والمراد بالشوكة هنا: السلاح.

﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾.

أي: ويريد الله بوعده غير مَا أَرَدتُم، يُرِيدُ أَن يحِقَّ الحقَّ الذِي أراده بكلماتِه المنزَّلةِ عَلَى رَسولِه، أن تفوزوا بإِحدَى الطَّائفَتينِ وهي النصر على االمشركين.

ومعنى: ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾؛ أي: بوعده الذي وعد به المؤمنين بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦]، ووعده لرسوله صلى الله عليه وسلم كما تقدم.

﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾.

أي: يستأصل شأفتهم بقتل صناديدهم يوم بدر، والدابر: الآخر، وقطع دابر الشيء إزالته بالكلية حتى لا يبقى له أثر.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والمعنى: تريدون العير لما فيها من الأموال، والله تعالى يريد لكم القتال لما فيه من إعلاء كلمة الله، واستئصال شأفة المشركين.

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

المراد بالحق هنا دين الإسلام؛ أي: ويريد الله أن يظهر دين الإسلام ويثبته ويرفع رايته على الدين كله؛ والإسلام هو دين الحق كما قال تعال: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾. [التَّوْبَة: ٢٩]، أي: ولا يدينون دين الإسلام.

﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾؛ أي: ويمحو الشرك ويزيله، ولو كره ذلك المشركون المجرمون بكفرهم بالله تعالى، وتكذيبهم لرسوله صلى الله عليه وسلم.

وليس في الكلام تكرار لأن المراد بإحقاق الحق في الموضع الأول: قتال المشركين، والمراد بإحقاق الحق في الموضع الثاني إظهار دين الله تعالى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٩

هذه الآيات متعلقة بما قبلها وهو قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾، والإستغاثةُ: طَلَبُ الغَوثِ والنصرِ. و﴿مُرْدِفِينَ﴾، أَيْ: يُرْدِفُ بعضُهم بَعْضًا، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ مُتَتَابِعِينَ، بَعْضُهُمْ عَلَى أَثَرِ بَعْضٍ.

لَمَّا عَلِمَ أصحابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لهم مِنَ القِتالِ شَرَعُوا فِي الإستِغاثةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالدُّعَاءِ بِالنَّصرِ على أعدائِهِم، وَقِيلَ هَذِهِ الإسْتِغَاثَةَ كَانَتْ مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والراجح أن الإستِغَاثَةَ كَانَت مِن الْمُؤمِنِينَ جميعًا وإن كان لم ينقل لنا إلا استغاثةُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ»، فَقَتَلُوا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟» قُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمِ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩] فَأَحَلَّ اللهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ.[١]

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ، حديث رقم: ١٧٦٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ١٠

أي: وما جعل الله تعالى وعده لكم بمدد الملائكة إلا ليبشركم بنصره لكم قبل وقوعه، ولتطمئن قلوبكم بوعده لكم، وتسكن ثقة بوعده تعالى.

وإنما بشرهم الله تعالى بنصره، وأمدهم بالملائكة لأنها أول معركة بين الكفر والإيمان، ولقلة عدد المؤمنين، وكثرة عدوهم فاحتاجوا إلى التثبيت والتأييد.

وتقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾؛ للاختصاص؛ أي: لتطمئن به لا بشيء غيره.

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

بين لهم أن الملائكة سبب النصر أما الذي نصرهم حقيقة فهو الله تعالى، والاستثناء بعد النفي لقصر الحكم، أي لا ناصر سواه، ولا نصر إلا من عنده.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

عزيز لا يغالب، ولا يعجز من أراده، حكيم في أقواله وأفعاله، وتقديره، ومن ذلك تقديره خروج المؤمنين وقتالهم صناديد المشركين، ليكسر شوكتهم، ويذل كبرياءهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ١١

يقول الله تعالى ممتنا على عباده المؤمنين بما أيدهم به من الأمن والطمأنينة في مواطن الخوف ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ﴾؛ أي: اذكروا إذ يُغَشِّيكُمُ اللهُ النُّعَاسَ أَمَانًا مِنهُ تعالى ليزيل عنهم الخوف الذي أصابهم من كثرة عدوهم، حتى سقطت السيوف من أيديهم؛ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كُنْتُ فِيمَنْ تَغَشَّاهُ النُّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى سَقَطَ سَيْفِي مِنْ يَدِي مِرَارًا يَسْقُطُ وَآخُذُهُ وَيَسْقُطُ فَآخُذُهُ».[1]

وعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: مَا كَانَ فِينَا فَارِسٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَيْرُ الْمِقْدَادِ «وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا فِينَا إِلا نَائِمٌ، إِلَّا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ شَجَرَةٍ يُصَلِّي، وَيَبْكِي، حَتَّى أَصْبَحَ».[2]

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: النُّعَاسُ فِي الْقِتَالِ أَمَنَةٌ مِنَ اللَّهِ، وَفِي الصَّلَاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ.

﴿وَيُنزلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾.

ومما أيد الله تعالى به المؤمنين يوم بدر إنزال المطر عليهم من السماء ليطهرهم به، ويذهب عنهم وساوس الشيطان، وليربط على قلوبهم، ويثبت به أقدامهم فلا تغوص في الرمل عند

---

١ - رواه البخاري-كتاب المغازي، بَابٌ: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، حديث رقم: ٤٠٦٨

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٠٢٣، وابن خزيمة في صحيحه- كِتَابُ الصَّلَاةِ «الْمُخْتَصَرُ مِنَ الْمُخْتَصَرِ مِنَ الْمُسْنَدِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الشَّرْطِ الَّذِي اشْتَرَطْنَا فِي كِتَابِ الطَّهَارَةِ»، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْبُكَاءَ فِي الصَّلَاةِ لَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ مَعَ إِبَاحَةِ الْبُكَاءِ فِي الصَّلَاةِ، حديث رقم: ٨٩٩، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ملاقاة أعدائهم؛ قَالَ الضَّحَّاكُ: إِنَّ الْمُشْرِكِينَ نَزَلُوا بِالْمَاءِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَغَلَبُوا الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ، فَأَصَابَ الْمُسْلِمِينَ الظَّمَأُ، وَصَلُّوا مُحْدِثِينَ مُجْنِبِينَ، فَأَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ الْحُزْنَ، وَوَسْوَسَ فِيهَا: إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَأَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيُّ اللَّهِ، وَقَدْ غُلِبْتُمْ عَلَى الْمَاءِ وَأَنْتُمْ تُصَلُّونَ مُحْدِثِينَ مُجْنِبِينَ، فَأَمْطَرَ اللَّهُ السَّمَاءَ حَتَّى سَالَ كُلُّ وَادٍ، فَشَرِبَ الْمُسْلِمُونَ وَمَلَئُوا أَسْقِيَتَهُمْ وَسَقَوْا دَوَابَّهُمْ وَاغْتَسَلُوا مِنَ الْجَنَابَةِ، وَثَبَّتَ اللَّهُ بِهِ الْأَقْدَامَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ رَمْلَةٌ لَا تَجُوزُهَا الدَّوَابُّ، وَلَا يَمْشِي فِيهَا الْمَاشِي إِلَّا بِجَهْدٍ، فَضَرَبَهَا اللَّهُ بِالْمَطَرِ حَتَّى اشْتَدَّتْ وَثَبَتَتْ فِيهَا الْأَقْدَامُ.[1]

١ - رواه ابن جرير (١٣/ ٤٢٦)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣) ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ١٢- ١٤

أي: يقول الله تعالى واذكروا ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾، ويحتمل أن تكون (إذ) متعلقة بقوله: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾؛ قَالَ الزَّجَّاجُ: إِذْ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، وَالتَّقْدِيرُ: وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ حَالَ مَا يُوحِي إِلَى الملائكة بكذا وكذ.

وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يُثَبِّتُ الْأَقْدَامَ بِالْمَطَرِ فِي وَقْتِ الْكِفَاحِ، الَّذِي يُوحِي رَبُّكَ فِيهِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ آمِرًا لَهُمْ أَنْ يُثَبِّتُوا بِهِ الْأَنْفُسَ

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

أوحى الله تعالى إلى الملائكة أني معكم بنصري وتأيدي ومعونتي، فثبتوا الذين آمنوا بالقتال معهم، ومن ذلك التثبيت بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بنزول الملائكة للقتال مع المؤمنين.

﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾.

أي: سأقذف في قلوبهم الرعب منكم، فلا يقاتلونكم لا يثبتون لكم.

﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾.

قال بعضهم فَوْقَ هنا زائدة تقدير الكلام: (فَاضْرِبُوا الْأَعْنَاقَ)، وتقدم أنه ليس في القرآن شيء زائدٌ، وإنما المراد الهَامَ وَافلِقُوا الرُّءُوسَ، ويحتمل: اضْرِبُوا أَعْلى الْأَعْنَاقِ.

﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾.

البَنَانُ أَطْرَافُ الْأَصَابِعِ؛ والمعنى: وَاقطعُوا الأَيدِيَ ذَاتَ البَنَانِ، أي: اقطعوا رءوسهم وأيديهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

أي: ذلك النكال بأنهم حاربوا الله ورسوله، وحاربوا دين الله، فكأنهم كانوا في شق ودين الله تعالى في شقٍّ كما يفعل المحارب.

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

أي: ومن يحارب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، يناله من عقاب الله تعالى الشديد ما يجعله عبرة للمعتبرين.

﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾.

إلتفات من الغيبة للخطاب، لبث الرعب في قلوب من بقي منهم، أي: فذوقوا عذاب الله تعالى بالقتل والأسر والنكال في الدنيا، وللكافرين في الآخر عذاب في نار جنهم.

ووضع الظاهر موضع المضمر في: ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾، لبيان علة العذاب الأخروي، وهو الكفر بالله تعالى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ١٥- ١٦

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ سَيُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ، وبشر المؤمنين بإنزالِ الملائكة للقتال معهم، أمر المؤمنين بالصَّبْرِ عِنْدَ لقاءِ الْعَدُوِّ وَحذَّرَهُمْ من الِانهِزَامِ أمامَ عدوهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾.

الزَّحْفُ هُو الدُّنُوُّ قَلِيلًا قَلِيلًا. وَأَصْلُهُ انْدِفَاعُ الصَّبِي عَلَى أَلْيَتِهِ، وشبه إلتقاء الجيشين في القتال بالزحفِ لأنَّ مَنْ يراهُم من بعيدِ لكثرتهم يرى أنهم يزحفون.

وَانْتَصَبَ زَحْفًا عَلَى الْحَالِ، وتقدير الكلام: إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَزْحَفُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فتَقَارَبْتُمْ مِنْهُمْ وَدَنَوْتُمْ إِلَيْهِمْ.

﴿فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾.

أَيْ: تَفِرُّوا مِنْ قِتَالِهِم وَتَتْرُكُوا أَصْحَابَكُمْ، وَعَدَلَ عَن ذِكرِ الظَّهرِ إِلَى الدُّبُرِ مُبَالَغَةً فِي تَقبِيحِ فِعلِ الفَارِّ وَتَبشِيعِ انهِزَامِهِ، وَتَضَمَّنَ هَذَا النَّهيُ الأَمرَ بِالثَّبَاتِ وَالمصَابَرَةِ.

﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾.

أي: ومن يفر وقت القتال من بين يدي عدوه، وَعَدَلَ عَن ذِكرِ الظَّهرِ إِلَى الدُّبُرِ مُبَالَغَةً فِي التَّقبِيحِ والذم لمن يفعل ذلك.

﴿إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾.

أي: إلا أن يكون فراره مكيدة بعدوه، يريه أنه خاف منه وانهزم ثم يكر عليه فيقتله، أو يفر ليلحق بفئة أخرى من المؤمنين لنجدتهم، أو ليستعين بهم على قتال عدوهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والتحرف الِانْصِرَافُ من وسط المكان إِلَى حَرفِه الْبَعِيدِ.

﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾.

أي: فقد وليَّ ورجعَ مصحوبًا بغضبٍ من الله.

﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

أي: ومَصِيرُهُ وَمُنْقَلَبُهُ يَوْمَ القيامةِ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ، والتولي من الزحف من الذنوب الموبقات؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الموبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المحْصَنَاتِ المؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ».[1]

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الْوَصَايَا، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾، حديث رقم: ٢٧٦٦، ومسلم-كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا، حديث رقم: ٨٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧) ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ١٧- ١٨

يمتن الله تعالى على الْمُؤْمِنِينَ الذين شَهِدُوا بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَاتَلُوا كُفَّارَ قُرَيْشٍ، بأنه تعالى هو الذي قتلهم حقيقةً، لأنَّ قتلهم كان بأمره تعالى، ومعونته وتوفيقه، وكان المؤمنون يتفاخرون بعد المعركة فيقول أحدهم قتلت وأسرت، فقيل لهم ذلك، وفي الآية دليل على أَنَّهُ تَعَالَى خَالِقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ.

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

أي: وما أصبت يا محمد أعينهم إذ رميت ولكن الله أصابهم حين رميت، وأوصلها إلى أعينهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ كفًا من حصا فرمي به المشركين فأصاب أعينهم فولوا مدبرين؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ: «يَا رَبِّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ فَلَنْ تُعْبَدَ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا،» فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: خُذْ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ، فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ، فَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِهِمْ فَمَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا أَصَابَ عَيْنَيْهِ وَمِنْخَرَيْهِ وَفَمَهُ تُرَابٌ مِنْ تِلْكَ الْقَبْضَةِ، فَوَلُّوا مُدْبِرِينَ".

وَعَنِ السُّدِّيِّ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ يَوْمَ بَدْرٍ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَعْطِنِي حَصًا مِنَ الْأَرْضِ» فَنَاوَلَهُ حَصًى عَلَيْهِ تُرَابٌ فَرَمَى بِهِ وُجُوهَ الْقَوْمِ، فَلَمْ يَبْقَ مُشْرِكٌ إِلَّا دَخَلَ فِي عَيْنَيْهِ مِنْ ذَلِكَ التُّرَابِ شَيْءٌ. ثُمَّ رَدَفَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ يَقْتُلُونَهُمْ وَيَأْسِرُونَهُمْ.

﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾.

المراد بالبلاء هنا النعمة، أي: وَلِيُنْعِمَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بالنَّصرِ على أَعْدَائِهِم، وغنيمة أموالهم، وإدراك ثأرهم، قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: يُقَالُ مِنَ الْخَيْرِ أَبْلَيْتُهُ إِبْلَاءً وَمِنَ الشَّرِّ بَلَوْتُهُ أَبْلُوهُ بَلَاءً.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

أَيْ: إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لدُعَاءِ عباده المؤمنين، عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ النَّصْرَ وَالتمكين.

﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾.

أي: ومع ذلك النصر والتمكين، فإن الله تعالى سيضعف كيد الكافرين، ويفل عزمهم، حتى ينقادوا للحق أو يهلكهم الله تعالى كما أهلك من كان قبلهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ١٩

سبب نزول الآية:

سبب نزول هذه الآية ما ورد عَنْ عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر؛ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: اللَّهُمَّ أَقْطَعُنَا لِلرَّحِمِ وَآتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُ فَأَحْنِهِ الْغَدَاةَ – وَكَانَ ذَلِكَ اسْتِفْتَاحًا مِنْهُ – فَنَزَلَتْ: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ إِلَى آخَرِ الْآيَةِ.

﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾.

هذا خِطابٌ لِأَهْلِ مَكَّةَ عَلى سَبِيلِ التَّهَكُّمِ بِهِمْ، وذَلِكَ أنَّهم حِينَ أرادُوا الخُرُوجَ تَعَلَّقُوا بِأسْتارِ الكَعْبَةِ، وقالُوا: اللَّهُمَّ انْصُرْ أعْلى الجُنْدَيْنِ، وأهْدى الفِئَتَيْنِ، وأكْرَمَ الحِزْبَيْنِ.

والفتح هو القضاء والحكم والفصل بين المتنازعين، والمعنى: إن تطلبوا حكم الله على أظلم الفئتين، فقد جاءكم حكم الله، بنصر المظلوم على الظالم، والمحقّ على المبطل.

﴿وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾.

اي: وإنْ تَنْتَهُوا عَمّا أنتم عَلَيْهِ مِنَ الكُفْرِ والعَداوَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ فَالِانْتِهاءُ خَيْرٌ لَكم وإنْ تَعُودُوا إلى ما كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الكُفْرِ والعَداوَةِ نَعُدْ بِتَسْلِيطِ المُؤْمِنِينَ عَلَيْكم ونَصْرِهِمْ كَما سَلَّطْناهم عليكم ونَصَرْناهم يَوْمَ بَدْرٍ.

﴿وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ﴾.

أي: ولن تغني عنكم جماعتكم شيئا بحال من الأحوال ولو كانت كثيرة، فلا عاصم من أمر الله، والله مع المؤمنين ومن كان الله معه فلا غالب له.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

أي: وأن الله تعالى مع المؤمنين بنصره وتأييده.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٢٠- ٢٣

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أخبر الله تعالى أنه مع المؤمنين أمرهم هنا يقوموا بمقتضى هذا الإيمان لتتحقق لهم معية الله تعالى التي وعد بها أهل الإيمان، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾. أي: ولا تعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم تسمعون آيات الله تدعوكم لطاعته صلى الله عليه وسلم.

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.

ثم حذرهم الله تعالى أن يكونوا كالمشركين المعاندين الذين أبوا الانقياد لأمر الله تعالى، وزعموا أنهم سمعوا كلام الله تعالى ولم ينتفعوا بشيء مما سمعوا، فكان سمعهم كالعدم لعدم انتفاعهم، وإنما عرض الله تعالى بالمشركين، ولم يصرح بذكرهم احتقارًا لشأنهم.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

أي: إن شر الخلائق التي تدب على الأرض، وأقبحهم حالا عند الله تعالى الصم الذين لا يسمعون كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، سماعًا ينتفعون به، البكم الذين لا يفهم عن الله تعالى مراده، الذين لا يعقلون عن الله تعالى أمره ونهيه، والمراد بهم المشركون كما قال الله تعالى عنهم: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾.[1]

وقال تعالى عنهم: ﴿وَقالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ﴾.[2]

١ - سورة البقرة: الآية/ ١٧١

٢ - سورة الملك: الآية/ ١٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ﴾.

أي: ولو كان فيهم خيرا لأسمعهم الله تعالى، ونفي علم الله تعالى بوجود الشيء من لوازم عدمه الشيء فى نفسه، فعبر باللازم عن الملزوم، فقال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ﴾، لأنَّه أبلغ فى الدلالة على انعدام الخير فيهم.

والمعنى: ولو علم الله أنَّهم يصلحون بما يلقى عليهم من الحجج والآيات، لأسمعهم سماعًا يفهمون به عن الله مراده.

﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

أي: ولو أسمعهم سماعًا يفهمون به عن الله مراده لتولوا حال كونهم معرضين عن الاستجابة لأمر الله تعالى كبرًا وعنادًا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٢٤

لما أمر الله تعالى المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، أمرهم تعالى هنا بالاستجابة له تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ليبين لهم أثرهم استجابتهم له تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ﴾.

الِاسْتِجَابَةُ عِبَارَةٌ عَنِ الِانْقِيَادِ وَالِاسْتِسْلَامِ، وَوَحَّدَ الضَّمِيرَ فقَالَ ﴿إِذا دَعاكُمْ﴾؛ كما وحده في قوله: ﴿وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾؛ لأن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة لله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿لِما يُحْيِيكُمْ﴾؛ أي: لما فيه حياتكم؛ فإن الحياة الحقيقية في العيش في ظلال الإيمان، وامتثال أوامر الرحمن تعالى، والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾.

أي: وأعلموا أن الله يحول بين الإنسان وقلبه؛ فلا يستطيع أن يؤمن إلاّ بإذنه ولا أن يكفر فالقلوب بيد الله تعالى يُقلّبها كيف يشاء؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَحُولُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ، وَبَيْنَ الْكَافِرِ وَبَيْنَ الْإِيمَانِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ فَلَا يَعْقِلُ وَلَا يَدْرِي مَا يَعْمَلُ.

وَقَالَ السُّدِّيُّ: يَحُولُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَقَلْبِهِ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُؤْمِنَ وَلَا أَنْ يَكْفُرَ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ". قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ تَعَالَى يُقَلِّبُهَا".[١]

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٢١٠٧، والترمذي- أَبْوَابُ الْقَدَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيِ الرَّحْمَنِ، حديث رقم: ٢١٤٠، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

فيجازيكم بأعمالكم، وفيه ترغيب في الطاعات وتحذير من الذنوب والآثام.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٢٥

لما أمر الله تعالى المؤمنين بالاستجابة له تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وبين لهم أن قلوب العباد بين اصبعين من أصابعه تعالى، حذرهم تعالى هنا من اقتراف ذنوب يعمهم جميعًا أثرها؛ مثل تواضعهم على فعل المحرمات، أو السكوت عن إنكار المنكر، وإقرار البدع، وغيرها من المحرمات التي تصيب المجتمع المسلم، ولا يتصدى لها أهل الإيمان.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾.

الفتنة هنا العذاب، وفي الكلام إيجاز بالحذف تقديره: واتقوا فتنة إن أصابتكم لا تصب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم جميعًا؛ فعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: قَامَ أَبُو بَكْرٍ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَا وَضَعَهَا اللهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَهُمْ، فَلَمْ يُنْكِرُوهُ، يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ".[١]

وعَنِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَزِعًا مُحْمَرًّا وَجْهُهُ، يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ، وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ».[٢]

---

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ٥٣، والترمذي– أَبْوَابُ الْفِتَنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي نُزُولِ العَذَابِ إِذَا لَمْ يُغَيَّرِ المُنْكَرُ، حديث رقم: ٢١٦٨، وابن ماجه– بَابُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، حديث رقم: ٤٠٠٥، بسند صحيح

٢ – رواه مسلم– كِتَابُ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ اقْتِرَابِ الْفِتَنِ وَفَتْحِ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، حديث رقم: ٢٨٨٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

تهديد ووعيد لمن تعرض للفتنة التي حذر الله تعالى منها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٢٦

لما أمر الله تعالى المؤمنين بطاعته تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وحذرهم من مغبة معصيته، أعقب ذلك ببيان فضله عليهم لا سيما المهاجرين، وإحسانه إليهم، ورحمته بهم، حيث آمنهم من خوف، وكثرهم من قلة، وأعزهم بعد ذلٍّ واستضعاف.

قال ابن عباس: نزلت في المهاجرين خاصة، كانت عِدَّتُهم قليلةً، وهم مقهورون في أرض مكة، يخافون أن يستلبهم المشركون.

وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ﴾، قَالَ: كَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْعَرَبِ أَذَلَّ النَّاسِ ذُلًّا، وَأَشْقَاهُ عَيْشًا، وأجوعه بطونا، وأعراه جلودا وأبينه ضلالا، مَنْ عَاشَ مِنْهُمْ عَاشَ شَقِيًّا، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ رُدِّيَ فِي النَّارِ يُؤْكَلُونَ وَلَا يَأْكُلُونَ، وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ قَبِيلًا مِنْ حَاضِرِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ كَانُوا أَشَرَّ مَنْزِلًا مِنْهُمْ حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَمَكَّنَ بِهِ فِي الْبِلَادِ وَوَسَّعَ بِهِ فِي الرِّزْقِ وَجَعَلَهُمْ بِهِ مُلُوكًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ وَبِالْإِسْلَامِ أَعْطَى اللَّهُ مَا رأيتم فاشكروا الله على نِعَمَهُ فَإِنَّ رَبَّكُمْ مُنْعِمٌ يُحِبُّ الشُّكْرَ، وَأَهْلُ الشكر في مزيد من الله.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾.

أي: يقول الله تعالى: وَاذكُرُوا أيها المهاجرون إذا أنتم قليلٌ عددكم، مقهورون مُستَضعَفُونَ فِي مَكَّةَ، تَخَافُونَ أَنْ يستَلِبَكُم مشركوا قريش، أو مشركوا العرب لشدة عداوتهم لكم.

والمراد بالأرض هنا مكة، ولفظ الناس عام يراد به الخصوص والمراد: مشركوا قريش، أو مشركوا العرب، وقيل: فارس والروم وفيه بعد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

أي: إِلَى الْمَدِينَةِ إذ جعلكم تأوون إليها، حيث المنعة بالأنصارِ، وقواكم الله بنصره تعالى فأدركتم ثأركم من المشركين، ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، حيث أحل لكم الْغَنَائِمَ، لتشكروا الله تعالى على ما أولاكم من نعمه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَاناتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٢٧- ٢٩

سبب نزول الآية:

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَآخَرُونَ: نَزَلَتْ فِي أَبِي لُبَابَةَ فِي شَأْنِهِ مَعَ بَنِي قُرَيْظَةَ حِينَ اسْتَشَارُوهُ فِي النُّزُولِ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَأَشَارَ هُوَ لَهُمْ إِلَى حَلْقِهِ يُرِيدُ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْبَحُهُمْ إِنْ نَزَلُوا، فَلَمَّا افْتَضَحَ تَابَ وَنَدِمَ، وَرَبَطَ نَفْسَهُ فِي سَارِيَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَقْسَمَ أن لا يَطْعَمَ وَلَا يَشْرَبَ حَتَّى يَعْفُوَ اللَّهُ عَنْهُ أَوْ يَمُوتَ، فَمَكَثَ كَذَلِكَ حَتَّى عَفَا اللَّهُ عَنْهُ.

وقال الواحدي: نَزَلَتْ فِي أَبِي لُبَابَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ الْأَنْصَارِيِّ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاصَرَ يَهُودَ قُرَيْظَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصُّلْحَ عَلَى مَا صَالَحَ عَلَيْهِ إِخْوَانَهُمْ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ عَلَى أَنْ يَسِيرُوا إِلَى إِخْوَانِهِمْ بِأَذْرِعَاتٍ وَأَرِيحَا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، فَأَبَى أَنْ يعطيهم ذلك إلى أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَبَوْا وَقَالُوا: أَرْسِلْ إِلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ، وَكَانَ مُنَاصِحًا لَهُمْ، لأن عياله وماله وَوَلَدَهُ كَانَتْ عِنْدَهُمْ، فَبَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَاهُمْ فَقَالُوا: يَا أَبَا لُبَابَةَ مَا تَرَى؟ أَنَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ؟ فَأَشَارَ أَبُو لُبَابَةَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ: إِنَّهُ الذَّبْحُ فَلَا تَفْعَلُوا، قَالَ أَبُو لُبَابَةَ: وَاللَّهِ مَا زَالَتْ قَدَمَايَ حتى علمت أني قَدْ خُنْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَنَزَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةُ، فَلَمَّا نَزَلَتْ شَدَّ نَفْسَهُ عَلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَذُوقُ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا حَتَّى أَمُوتَ أَوْ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيَّ فَمَكَثَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ لَا يَذُوقُ فِيهَا طَعَامًا حَتَّى خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا لُبَابَةَ قَدْ تِيبَ عَلَيْكَ، فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَحُلُّ نَفْسِي حَتَّى يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الَّذِي يَحُلُّنِي، فَجَاءَهُ فَحَلَّهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ أَبُو لُبَابَةَ:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إِنَّ مِنْ تَمَامِ تَوْبَتِي أَنْ أَهْجُرَ دَارَ قَوْمِي الَّتِي أَصَبْتُ فِيهَا الذَّنْبَ، وَأَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "يَجْزِيكَ الثُّلُثُ أَنْ تَتَصَدَّقَ بِهِ".[1]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَماناتِكُمْ﴾.

نهى الله تعالى المؤمنين عن خيانة جميع الأمانات، عن خيانة الله تعالى بالتفريط في أداء الطاعات، ومنها موالاة أعداء الله تعالى، وعن خيانة رسوله صلى الله عليه وسلم بترك الاستجابة له وإفشاء أسراره للكفار، وعن خيانة الأمانات بجحدها وعدم أدائها، والأمانة كل ما أئتمن الله عليه العبادظن فيدخل فيها الفرائض.

قال ابن عباس: لا تخونوا الله بترك فرائضه، والرسول بترك سنته.

وقال السُّدِّيُّ: كَانُوا يَسْمَعُونَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَدِيثَ فَيُفْشُونَهُ حَتَّى يَبْلُغَ الْمُشْرِكِينَ.

وأصل الخيانة النقص، ومنه تخونه إذا تنقصه، كما أن معنى الوفاء التمام، ثم استعملت الخيانة في ضد الوفاء والأمانة.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

أي: وأنتم تعلمون أن أداءها واجب عليكم، وقيل: وأنتم تعلمون أنكم تخونون، وقيل: وأنتم تعلمون مغبة ذلك.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾.

أي: وَاعلَمُوا أَنَّمَا أَمْوالُكُم وَأولادُكُم اختبارٌ من الله تعالى لكم ومحنةٌ يظهر بها ما في النَّفس من اتِّباع الهوى أو تجنُّبه، وقد قيل: كان لأبي لبابة مال وأهل وولد في قريظة، لذلك أطلعهم على أن حكم سعد رضي الله عنه فيهم القتل.

---

١ - رواه الواحدي في أسباب النزول (ص٢٣٥)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

فلا تفرطوا في ذلك الأجر العظيم لحرصكم على أموالكم وأولادكم، فإن أجر الآخرة أعظم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٢٩

لَمَّا حَذَّرَ الله تعالى مَنِ الفِتنَةِ بِالأَموَالِ وَالأَولَادِ، رَغَّبَ فِي هذه الآيةِ فِي تَقْوَى الله تعالى لأنها تُوجِبُ تَركَ الْمَيلِ وَالهَوَى فِي مَحَبَّةِ الأَموَالِ وَالأَولَادِ، أَيْ: إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجعَل لَكُم فَرَجًا وَمَخرَجًا، وقيل: يجعل لكم هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل، وقيل: يجعل لكم نصرًا يفرق بين المحق والمبطل، بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾.[1]

﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾.

أي: وَيُكَفّر عَنكُم ما يسيئكم من الصغائر، وَيَغْفِر لكم ذنوبكم الكبائر، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾.[2]

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

أي: إشارة إلى أن ما وعد عباده المؤمنين على التقوى بقوله: ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾، إنما هو محض فضلٍ وإحسانٍ منه على عباده.

---

١ - سورة الطلاق: الآية/ ٢

٢ - سورة النساء: الآية/ ٣١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٣٠

مناسبة الآية لما قبلها:

قال الفخر الرازي: لَمَّا ذَكَّرَ الْمُؤْمِنِينَ نِعَمَهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ [الأنفال: ٢٦] فَكَذَلِكَ ذَكَّرَ رَسُولَهُ نِعَمَهُ عَلَيْهِ وَهُوَ دَفْعُ كَيْدِ الْمُشْرِكِينَ وَمَكْرِ الْمَاكِرِينَ عَنْهُ.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾.

المكر: التدبير والمخاتلة والاحتيال في خفية، ومكرُهم برسول الله صلى الله عليه وسلم: تدبيرهم في إهلاكه أو إفساد أمره على خفية، بحيث لا يُعلم إلا عند وقوعه.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم مذكرًا له بحاله مع المشركين بمكة، وما امتن الله تعالى به عليه: وَاذكر يا محمد إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: أَيْ: يُقَيِّدُوكَ، يعني: بالوثاق وكل من شُدَّ بالوثاق فقد أُثبت؛ لأنه لا يقدر على الحركة في الذهاب والمجيء، أو الحبس، ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾، كما قال أبو جهل عليه لعنة الله، ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾، يعني من مكة إلى طرف من أطراف الأرض.

وذلك أن مشركي قريش قد اجتمعوا فقال بعضهم: قيدوه نتربص به ريب المنون.

وقال بعضهم: أخرجوه عنكم تستريحوا من أذاه.

وقال أبو جهل: ما هذا برأي ولكن اقتلوه بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل، فيضربون بأسيافهم ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل، فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلها، فيرضون بأخذ الدية، فأوحى الله عز وجل إلى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك وأمره بالخروج إلى المدينة.

عن ابن عباس: أن نفرًا من قريش من أشراف كل قبيلة، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال شيخ من نجد، سمعت أنكم اجتمعتم، فأردت أن أحضركم، ولن يعدمكم مني رأيٌ ونصحٌ. قالوا: أجل، ادخل!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فدخل معهم، فقال: انظروا إلى شأن هذا الرجل، واللهليوشكن أن يُواثبكم في أموركم بأمره. قال: فقال قائل: احبسوه في وَثاق، ثم تربصوا به ريبَ المنون، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء، زهير والنابغة، إنما هو كأحدهم! قال: فصرخ عدوُّ الله الشيخ النجدي فقال: والله، ما هذا لكم برأي! والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه، فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم! قالوا: فانظروا في غير هذا. قال: فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه، فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع، إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم، وكان أمره في غيركم. فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حلاوة قوله، وطلاقة لسانه، وأخذَ القلوب ما تسمع من حديثه؟ والله لئن فعلتم، ثم استعرَض العرب، لتجتمعن عليكم، ثم ليأتين إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم! قالوا: صدق والله! فانظروا رأيًا غير هذا! قال: فقال أبو جهل: والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد، ما أرى غيره! قالوا: وما هو؟ قال: نأخذ من كل قبيلة غلامًا وَسيطا شابًّا نَهْدًا، ثم يعطى كل غلام منهم سيفًا صارمًا، ثم يضربوه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها، فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلها، فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل، واسترحنا وقطعنا عنا أذاه. فقال الشيخ النجدي: هذا والله الرأي، القولُ ما قال الفتى، لا أرى غيره! قال: فتفرقوا على ذلك وهم مُجْمعون له، قال: فأتى جبريل النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأمره ألا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه تلك الليلة، وأذِن الله له عند ذلك بالخروج.[1]

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾.

وَالْمَكْر من الله: التَّدْبِير بِالْحَقِّ، وَقيل: هُوَ الْأَخْذ بَغْتَة، وقيل: مكر الله بهم إنما هو مجازاة ونصر للمؤمنين.

---

١ - انظر تفسير الطبري (١٣/ ٤٩٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٧)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٩١)

www.alukah.net

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ﴾.

لأنه بحقٍّ، ولأنه أنفذ تأثيرًا، ولأنه ماضٍ لا محالة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٣١) وَإِذْ قالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ (٣٢) وَما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٣١- ٣٣

يخبر الله تعالى عن عناد كفار قريش، وعدم قبولهم الحق، وصدهم عن سبيل الله تعالى، فقد كانوا يسمعون آيات الله يتلى عليهم ثم يصرون على الكفر كبرًا وعنادًا، ويزعمون كذبًا وزورًا وبهتانًا أنهم يستطيعون الإتيان بمثله، مع أن الله تعالى تحداهم أن يأتوا بمثله فعجزوا، فتحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله مفتريات فعجزوا، فتحداهم أن يأتوا بأقصر سورة من مثله فعجزوا، وهو أرباب الفصاحة وأساطين البلاغة، وقد توافرت الدواعي على معارضة القرآن، فعجزوا غاية العجز، مع أنفتهم وفرط استنكافهم أن يغلبوا خصوصًا في باب البيان.

وقوله تعالى: ﴿قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هَذَا﴾، من العام الذي يراد به الخصوص؛ فإِنَّ قَائِلَ ذَلِكَ هُوَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ لَعَنَهُ اللَّهُ وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ إِلَى بِلَادِ فَارِسَ، وَتَعَلَّمَ مِنْ أَخْبَارِ مُلُوكِهِمْ رُسْتم وَاسْفَنْدِيَارَ، وَلَمَّا قَدِمَ وَجَدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ بَعَثَهُ اللَّهُ، وَهُوَ يَتْلُو عَلَى النَّاسِ الْقُرْآنَ، فَكَانَ إِذَا قَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَجْلِسٍ، جَلَسَ فِيهِ النَّضْرُ فَيُحَدِّثُهُمْ مِنْ أَخْبَارِ أُولَئِكَ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاللَّهِ أَيُّهُمَا أَحْسَنُ قَصَصًا؟ أَنَا أَوْ مُحَمَّدٌ؟

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

(إن) نافية؛ أي: ما هذا إِلَّا أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ، والأساطير جمع أسطورة، وهي ما سُطِّر من أخبارهم وأحاديثهم، وقال ابن عباس: أساطير الأولين كذبهم، وأحاديثهم في دهرهم، وقيل: ترهاتهم، والترهات: الطرق الغامضة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَإِذْ قالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾.

ثم أخبر الله تعالى عن استكبارهم عن قبول الحق، وعتوهم وتمردهم، أنهم قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾، يعني القرآن، وما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾، قِيلَ: قَائِلُ ذَلِكَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَقِيلَ: أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ﴾ [الْمَعَارِجِ: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجاءَهُمُ الْعَذابُ﴾ [الْعَنْكَبُوتِ: ٥٣]، وهو دليل على شدة جهلهم، وشدة كفرهم، وكان يجب عليهم أن يقولوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه، ووفقنا لاتباعه.

﴿وَما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾.

لما قال المشركون: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، بين الله تعالى أن من مقتضى حكمته تعالى، ألا يعذبهم عذاب استئصال ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بين أظهرهم، إكرامًا لرسوله صلى الله عليه وسلم.

واللام في: ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾، لتأكيد النفي، وهي التي تسمى لام الجحود.

﴿وَما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

وما كان معذبهم وهم يستغفرون الله تعالى، وإن كانوا يستحقون العذاب، على كفرهم وصدهم عن سبيل الله تعالى، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ فِيهِمْ أَمَانَانَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالِاسْتِغْفَارُ، فَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبقي الاستغفار.

وقيل: وفيهم قوم يستغفرون وهم المستضعفون من المسلمين.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «قَالَ أَبُو جَهْلٍ: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الْآيَةَ».[1]

١ - رواه البخاري-كِتَابُ التَّفسِيرِ، تفسير الْأَنْفَالُ، باب قوله: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ حديث رقم: ٤٦٤٨، ومسلم- كِتَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾، حديث رقم: ٢٧٩٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤) وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٣٤، ٣٥

أي: ولم لا يعذبهم الله تعالى وهم مع كفرهم يصدون المؤمنين عن المسجد الحرام، ويمنعونهم من الطواف والصلاة فيه، وليسوا أولياء المسجد الحرام كما كانوا يزعمون، إنما أولياؤه المؤمنون الذين يتقون الله تعالى فلم يشركوا به شيئًا، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون ذلك لجهلهم وفساد اعتقادهم، والسؤال للتقرير والتعجيب من حالهم.

﴿وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾.

لما نفى الله تعالى ما زعموه من ولاية البيت أكد ذلك هنا بأن صلاتهم ليست مما شرعه الله تعالى للعباد رغبة فيما عند الله تعالى من الثواب، ورهبة من عقابه، وإنما هي صفير وتصفيق أشبه باللعب منها بالعبادة، وأنهم استبدلوا دين الله تعالى الذي شرعه لعباده ومنه الصلاة بالمكاء والتصدية؛ لذلك قال الله تعالى عنهم: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيا﴾.[1]

الْمُكَاءُ: الصَّفِيرُ، يُقَالُ: مَكَا يَمْكُو إِذَا صَفَّرَ بِفِيهِ، والْمُكَّاءُ: اسْمُ طَائِرٍ أَبْيَضَ يَكُونُ بِالْحِجَازِ له صفيرٌ، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا غَرَّدَ الْمُكَّاءُ فِي غَيْرِ دَوْحَةٍ **** فَوَيْلٌ لِأَهْلِ الشَّاءِ وَالْحُمُرَاتِ

وَالتَّصْدِيَةُ: التَّصْفِيقُ مُشْتَقٌّ مِنَ الصَّدَى.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَتْ قُرَيْشٌ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ وهم عراة يصفّرون ويصفقون.

وقيل: كَانُوا يُصَفِّرُونَ وَيُصَفِّقُونَ عِنْدَ الْبَيْتِ، لِيُعَارِضُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويَشْغَلُوا الْمُصَلِّينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الصَّلَاةِ.

---

١ - سُورَة الْأَنْعَام: الآيَة: ٧٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قال: كَانَتْ قُرَيْشُ يُعَارِضُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الطَّوَافِ يَسْتَهْزِئُونَ وَيُصَفِّرُونَ فَنَزَلَتْ: وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً.

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

أي: فذوقوا عذاب القتل والأسر والهزيمة يوم بدر، بسبب كفركم بالله تعالى، وصدكم عن سبيله.

وفي الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب، تهديدًا لهم وترهيبًا على قبيح أفعالهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٣٦، ٣٧

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما نفى الله تعالى ما زعموه من ولاية البيت، وأنهم استبدلوا دين الله تعالى الذي شرعه لعباده ومنه الصلاة بالمكاء والتصدية؛ بين هنا ما يسلكونه من سبل الصد عن دين الله تعالى، ومحاربة أوليائه المؤمنين.

سبب نزول الآية:

وقال الكلبي ومقاتل: نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلًا: أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأبو البختري بن هشام، والنضر بن الحارث، وحكيم بن حزام، وأبي بن خلف وزمعة بن الأسود والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب، وكلهم من قريش، فكان يطعم كل واحد منهم الجيش في كل يوم عشرة جزر، وأسلم من هؤلاء: العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكيم بن حزام.

وقيل: لما أصيب من أصيب من قريش يوم بدر ورجع أبو سفيان بعيره إلى مكة مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش قد أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة. فقالوا: يا معشر قريش إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأرا. بمن أصيب منا.

وقيل: نزلت فِي أَبِي سفيان ونفقتِهِ الأموالَ فِي أحد لقتالِ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذه الآية وإن نزلت على سبب خاص فإنها تشمل كل من أنفق مالًا لصد الناس عن دين الله تعالى؛ فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

إي: إن الذين كفروا ينفقون أموالهم في محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمؤمنين معه ليصدوا الناس عن دين الله تعالى.

﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾.

فسينفقون تلك الأموال ثم يتحسرون على فقدانها؛ لأنها لن تغني عنهم في حربهم، ولا في منعهم الناس عن الدخول في دين الله تعالى، ثم تكون عاقبة أمرهم خسرًا بهزيمتهم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾.

أي: والذين كفروا منهم يساقون إلى نار جهنم، ووضع الظاهر موضع المضمر لأن من هؤلاء الكفار المذكورين سابقًا من أسلم وحسن أسلامه، وتقديم الجار والمجرور للتخصيص، أي: يحشرون إلى جهنم لا إلى غيرها.

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾.

أي: كتبَ الله تعالى النَّصرَ وَالفَوزَ لِعِبَاده المؤمِنِينَ، والخسرانَ والحَسرَةَ للكَافِرِينَ الذين يصدون عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَجَعَلَ هَذَا جَزَاءَهم من أجل أن يميز الخبيث وهو الكفر والضلال والصد عن سبيل الله، من الطيب وهو الإيمان بالله تعالى والهدى والطاعة له تعالى.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

تقديم الضمير لاختصاصهم بذلك الوصف؛ أي: هم الخاسرون لا سواهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ (٣٨) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٣٨، ٤٠

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يا محمدُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يعني عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ ومحاربة الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين، ويدخلوا في دين الله تعالى، ويقبلوا على طاعته يُغْفَرُ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَف، مِن كُفرِهِم، وَخَطايَاهم؛ وقد قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعَمْرَو بْنِ الْعَاصِ لما أسلم: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ».[1]

﴿وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾.

أي: وإن يعودوا لحرب الله ورسوله فقد مضت سنة الأَوَّلِينَ بإهلاك مَنْ حارب الله ورسله، مع ما ينتظرهم من العذاب الأخروي، وَإِضَافَةُ السُّنَّةِ إِلَى الأَوَّلِينَ، لِمُلَابَسَتِهَا لَهُم وَجَرَيَانِهَا عَلَيْهِم.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾.

ثم أمر الله تعالى المؤمنين بقتال المشركين حتى لا يبقى في جزيرة العرب شرك، وحتى يكون الدين خالصا لله تعالى ليس فيه شرك، وحتى يدين العباد كلهم بدين الله تعالى، والمراد بالفتنة هنا: الكفر والشرك.

قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدي: ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: أي: شرك.

---

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ كَوْنِ الْإِسْلَامِ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ وَكَذَا الْهِجْرَةُ وَالْحَجُّ، حديث رقم: ١٢١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

أي: فإن انتهوا عن الشرك بالله تعالى وأسلموا لله تعالى، فإن الله تعالى بصير بأعمالهم لا يعزب عنه شيء منها، وسيجازيهم عليها أوفى الجزاء.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ﴾.

أي: وإن أعرَضوا عما أمرهم الله تعالى به من الإيمان، وعما نهاهم عنه من الشرك، فاعلموا أن الله تعالى متولي أموركم وناصركم على عدوه وعدوكم، فثقوا بولايته ونصره.

﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾.

نعم المولى الذي لا يضيع من تولاه، ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ الذي لا يُغلب مَنْ نصره.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفهرس

م	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة.....	٢
٢	﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾.	٣
٣	﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾.	٥
٤	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ.....﴾.	٧
٥	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.	٩
٦	﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.	١١
٧	﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.	١٣
٨	﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾.	١٥
٩	﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾.	١٧
١٠	﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾.	١٩
١١	﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ.....﴾.	٢١
١٢	﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا	٢٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

	مُسْلِمِينَ (١٢٦) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ.....﴾.	
١٣	﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.	٢٥
١٤	﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ.....﴾.	٢٧
١٥	﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾.	٢٩
١٦	﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾.	٣٢
١٧	﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا..﴾.	٣٤
١٨	﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.	٣٦
١٩	﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.	٣٨
٢٠	﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي.....﴾.	٣٩
٢١	﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.	٤١
٢٢	﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا.....﴾.	٤٣
٢٣	﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٧) وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا....﴾.	٤٥
٢٤	﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.	٤٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٥	﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ..﴾.	٤٩
٢٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾.	٥١
٢٧	﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾.	٥٣
٢٨	﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا.....﴾.	٥٥
٢٩	﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.....﴾.	٥٦
٣٠	﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ.....﴾.	٥٨
٣١	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ....﴾.	٦٢
٣٢	﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩) وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا.....﴾.	٦٤
٣٣	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ....﴾.	٦٥
٣٤	﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ.....﴾.	٦٦
٣٥	﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.	٦٨
٣٦	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ	٧١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

	رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.	
٣٧	﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.	٧٢
٣٨	﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.	٧٤
٣٩	﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.	٧٦
٤٠	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا.....﴾.	٧٧
٤١	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ....﴾.	٨١
٤٢	﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.	٨٥
٤٣	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ....﴾.	٨٦
٤٤	﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.	٨٨
٤٥	﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٨١) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.	٩٠
٤٦	﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.	٩٢
٤٧	﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.	٩٣
٤٨	﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.	٩٤
٤٩	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا	٩٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

	إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً.....﴾.	
٥٠	﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.	٩٧
٥١	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا.....﴾.	٩٩
٥٢	﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.	١٠١
٥٣	﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾.	١٠٣
٥٤	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا...﴾.	١٠٥
٥٥	﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نزلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٦) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾.	١٠٧
٥٦	﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.	١٠٩
٥٧	﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.	١١٢
٥٨	﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾.	١١٤
٥٩	﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾.	١١٦
٦٠	﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.	١١٧
٦١	﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.	١١٨
٦٢	﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾.	١٢٠
٦٣	﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾.	١٢٢
٦٤	تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَنْفَالِ.	١٢٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٦٥	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.	١٢٥
٦٦	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.	١٣٠
٦٧	﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾.	١٣٤
٦٨	﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾.	١٣٦
٦٩	﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾.	١٣٨
٧٠	﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.	١٤٠
٧١	﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾.	١٤١
٧٢	﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾.	١٤٣
٧٣	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ﴾.	١٤٥
٧٤	﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.	١٤٧
٧٥	﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.	١٤٩
٧٦	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠)	١٥٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

	وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.	
٧٧	﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.	١٥٢
٧٨	﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.	١٥٤
٧٩	﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.	١٥٦
٨٠	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَماناتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.	١٥٨
٨١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.	١٦١
٨٢	﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ﴾.	١٦٢
٨٣	﴿وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَاّ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.	١٦٥
٨٤	﴿وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.	١٦٨
٨٥	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾.	١٧٠
٨٦	﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ (٣٨) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ...﴾.	١٧٢
٨٧	الفهرس.....	١٧٤

www.alukah.net